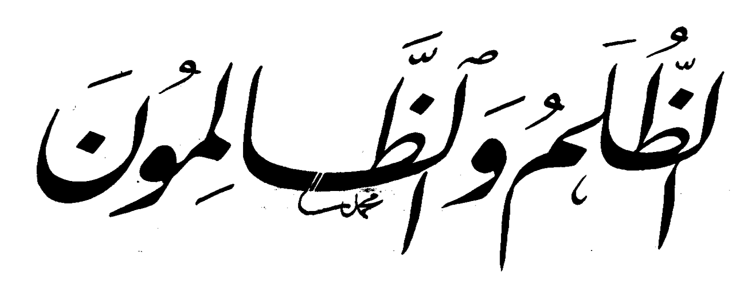
أمة الحق إيمان بنت عبد الفتاح



«يا عبادي: إني حرمت الظلم على نفسي،
وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا...»
حديث قدسي

راجعه وخرج أحاديثه

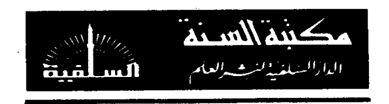
الشيخ عبد الحق بن عبد اللطيف

مكتبة السنة

الطبعة الأولى لمكتبة السنة بالقاهرة

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

رقم الايداع : ٧٣٨٨ / ١٩٩٦
طبع بدار نوبار للطباعة



دار تراثية للنشر والتوزيع والطباعة والبحث العلمي وتصدير واستيراد الكتب
القاهرة : ٨١ شارع البستان ناصية شارع الجمهورية - عابدين - تليفون ٣٩٠٠٢١٨
فاكس: ٣٩١٣٥٣٢ - تلكس: TLTHRB UN ٢١٧١٩ - ص . ب ١٢٨٩ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء: ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

أما بعد : فإن الظلم عار ونار ، وظلمات على أهله يوم الفِرار ، وإنه يقصم الأعمار ، ويخرب الديار ، ويمحق بركة الأرزاق والثمار ، فرب دعوة للمظلوم تصعد إلى السماء كالشرار ، فتخرق الحجب وتتجاوز الأستار ، بات صاحبها يتقلب بيْن يدي من يجير من استجار ، بحرقة ودموع غزار ، إلى ملك عظيم قادر قهار ، ينصر من استنصره ويثأر لأوليائه وعلى محارمه يغار .

فاتقوا اللّه عباد اللّه وبادروا بالرجوع إلى اللّه عز وجل والتوبة من المعاصي والاستغفار ، وحلوا بالتوبة عقد الإصرار ، قبل أن تقول نفس ياحسرتا على مافرطت في جنب اللّه وإن كنت لمن الخاسرين الأشرار .

جعلني اللّه وإياكم ممن أفاق لنفسه ، وفاق بالتحفظ أبناء جنسه ، واستدرك في يومه ما فاته في أمسه ، وأعد عدة تصلح لرمسه[1] .

تفكروا فيمن سلف قبلكم من الأمم الخالية والجنود ، أين المماليك وأربابها؟ أين الملوك وحجابها ؟ أين الجبابرة ؟ أين الأكاسرة ؟ أين القياصرة ؟ أين فرعون ؟ أين هامان ؟ أين أبيّ بن خلف ؟ أين قارون ؟ أين النمروذ ؟ أين قوم عاد وثمود وقوم لوط ؟ أين ماركس ؟ أين لينين ؟ أين هتلر ؟ أين موسوليني؟ أين . . . . ؟ .

جمعوا في المقابر ، وردمت عليهم أبوابها ، فأصبحوا أحاديث وعبرًا ، وأنتم واردون لما وردوه يقينًا لا حديثًا يفترى .

فرحم اللّه امرءًا أعتق نفسه من رق آثامها ، وأطلقها بالتوبة من وثاق إجرامها .

قال اللّه تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ

(١) الرمس : القبر .

ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٤ - ٥٩] .

بارك الله عليكم وجمعنا وإياكم في مستقر رحمته ونفعنا بالقرآن الكريم

وأسأل الله أن يتقبل عملنا ويجعله خالصًا لوجهه الكريم .

أمة الحـــق

إيمان بنت عبد الفتاح بن محمد

الظلـــــم

الظلم لغة : وضع الشيء في غير موضعه .

وأصل الظلم : الجَوْر ومجاوزة الحد والمَيْل عن القصد .

اصطلاحًا : إيذاء الناس وانتقاص حقوقهم .

مظاهر الظلم (١):

١ - ظلم الإنسان لنفسه : ويكون بارتكاب الذنوب والخطايا .

قال اللّه تعالى : ﴿ **فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ** ﴾ [التوبة: ٣٦] .

٢ - ظلم الإنسان لإخوانه : ويكون بالتعدي على أعراضهم وعلى أبدانهم وعلى أموالهم .

لقوله ﷺ في خطبة يوم عرفة : «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا**»(٢) .

٣ - تغيير ما شرعه اللّه تعالى بالقوانين الوضعية .

قال اللّه تعالى : ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [المائدة: ٤٥] . وذلك أنهم وضعوا الأمور في غير موضعها .

٤ - عدم المساواة بين الناس في تطبيق القوانين وهذا فساد في الأرض يؤدي إلى فشو البغضاء والشحناء بين طبقات الشعب يؤدي في النهاية إلى

---

(١) سيأتي ذكر أنواع الظلم .

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٧٨) الفتن ، ومسلم (١٦٧٩) القسامة عن أبي بكرة ، وأخرجه مسلم (١٢١٨) الحج عن جابر بن عبد اللّه .

الهلاك ، لقوله ﷺ : «**إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد**» .

٥ ـ ظلم الحيوان : مثل أن يذبحه عبثًا ، أو يتسلى بإقامة صراع الديكة والكلاب والثيران ، قال رسول الله ﷺ : «**عُذِّبتْ امرأةٌ في هرَّة حبستها حتى ماتت ، فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خَشَاش الأرض**»[١] .

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما قال : «لعن النبي ﷺ من مَثَّل بالحيوان»[٢] .

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر . أخرجه البخاري (٢٣٦٥) المساقاة ، ومسلم (٢٢٤٢) السلام .

(٢) أخرجه بهذا اللفظ أحمد (٣٣٨/١) ، (٤٣/٢ ، ١٠٣) ، والنسائي (٢٣٨/٧) الضحايا ، والدارمي (٨٣/٢) ، وابن حبان (٥٦١٧ - إحسان) ، والحاكم (٢٣٤/٤) ، والبيهقي (٨٧/٩) كلهم من طريق شعبة عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عمر .
قال الحاكم : «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة» اهـ .

إمهال الظالمين لا إهمالهم

قال الله تعالى : ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ [إبراهيم: ٤٢، ٤٣] .

عما يعمل الظالمون : المشركون من أهل مكة وغيرهم .

تشخص فيه الأبصار : تتفتح فلا تغمض لشدة ما ترى من الأهوال .

مهطعين : مسرعين إلى الداعي الذي دعاهم إلى الحشر .

مقنعي رؤوسهم : رافعي رؤوسهم .

أفئدتهم هواء : فارغة من العقل لشدة الخوف والفراغ .

١ ـ قال الطبري(١):

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : ولا تحسبنَّ يا محمدُ اللّهَ ساهيًا عما يعمل هؤلاء المشركون من قومك ، بل هو عالم بهم وبأعمالهم محصيها عليهم ليجزيهم جزاءهم في الحين الذي قد سبق في علمه أنه يجزيهم فيه ، وهي وعيد للظالم وتعزية للمظلوم ، يؤخر عقابهم وإنزال العذاب بهم إلى يوم تشخص فيه أبصار الخلق وذلك يوم القيامة ، مديمي النظر في غير طرف ، شاخصة أبصارهم، وإن قلوبهم خالية ليس فيها شيء من الخير ولا تعقل شيئًا . اهـ مختصرًا .

---

(١) جامع البيان ١٣/٢٣٦ .

٢ ـ قال ابن الجوزي[١]:

قال ابن عباس : هذا وعيد للظالم وتعزية للمظلوم يؤخر جزاءهم ليوم تشخص أبصار الخلائق لظهور الأهوال فلا تغمض .

مهطعين : (فيه ثلاث أقوال) :

١ ـ أن الإهطاع : النظر من غير أن يطرف الناظر .

٢ ـ أنه الإسراع .

٣ ـ إن المهطع الذي لا يرفع رأسه .

مقنعي رؤوسهم : (فيه قولان) :

١ ـ رافعي رؤوسهم .

٢ ـ ناكسي رؤوسهم .

لا يرتد إليهم طرفهم : لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر فهي شاخصة .

وأفئدتهم هواء : مساكن القلوب . وفيها أربعة أقوال :

١ ـ أن القلوب خرجت من مواضعها فصارت في الحناجر .

٢ ـ وأفئدتهم ليس فيها شيء من الخير فهي خربة .

٣ ـ وأفئدتهم منحرفة لا تعي شيئًا .

٤ ـ وأفئدتهم جوف لا عقول لها .

٣ ـ قال ابن كثير[٢]:

ولا تحسبن اللّه يا محمد غافلاً عما يعمل الظالمون ، أي تحسبنه إذا

---

(١) زاد المسير (٤/٣٦٩) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢/٨٣٨ .

أنظرهم وأجَّلهم أنه غافل عنهم مهمل لهم لا يعاقبهم على صنعهم ، بل هو يحصي ذلك عليهم ويعدّه عليهم عَدًا ﴿**إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ**﴾ أي من شدة الأهوال يوم القيامة ، ثم ذكر تعالى كيفية قيامهم من قبورهم وعجلتهم إلى قيام المحشر فقال: ﴿**مُهْطِعِينَ**﴾ أي مسرعين ﴿**مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ**﴾ رافعي رؤوسهم ﴿**لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ**﴾ أي أبصارهم ظاهرة شاخصة مديمون النظر لا يطرفون لحظة لكثرة ما هم فيه من الهول والمخافة لما يحل بهم، عياذًا باللّه العظيم من ذلك ولهذا قال: ﴿**وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ**﴾ أي قلوبهم خاوية خالية ليس فيها شيء لكثرة الوجل والخوف .

٤ ـ قال الشوكاني[1]:

﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ**﴾ خطاب للنبي ﷺ وهو تعريض لأمته فكأنه قال: ولا تحسبن أمتك يا محمد ، ويجوز أن يكون خطابًا لكل من يصلح له من المكلفين، وإن كان الخطاب للنبي ﷺ من غير تعريض لأمته، فمعناه التثبيت على ما كان عليه من عدم الحسبان كقوله ـ ولا تكونن من المشركين ـ .

وقيل : ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ، ولكن معاملة الرقيب عليهم ، أو يكون المراد بالنهي عن الحسبان الإيذان بأنه عالم بذلك لا تخفى عليه منه خافية وهذا تسلية لرسول اللّه ﷺ وإعلام المشركين بأن تأخير العذاب عنهم ليس للرضا بأفعالهم ، بل سنة اللّه سبحانه في إمهال العصاة ، إنما يؤخر جزاءهم ولا يؤاخذهم بظلمهم .

﴿**مُهْطِعِينَ**﴾ مسرعين لا ترجع إليهم أبصارهم وقلوبهم خالية من العقل والفهم لما شاهدوا من الفزع والحَيْرة والدهش .

---

(١) فتح القدير ٣/ ١١٤ .

٥ ـ قال سيد قطب[١]:

والرسول ﷺ لا يحسب الله غافلاً عما يعمل الظالمون ، ولكن ظاهر الأمر يبدو هكذا لبعض من يرون الظالمين يتمتعون ، ويسمع بوعيد الله ، ثم لا يراه واقعًا بهم في هذه الحياة الدنيا ، فهذه الصيغة تكشف من الأجل المضروب لأخذهم الأخذة الأخيرة التي لا إمهال بعدها ولا فكاك منها ، أخذهم في اليوم العصيب الذي تشخص فيه الأبصار من الفزع والهلع فتظل مفتوحة مبهوتة مذهولة، مأخوذة بالهول لا تطرف ولا تتحرك ، ثم يرسم مشهدًا للقوم في زحمة الهول . . مشهدهم مسرعين لا يلوون على شيء ولا يلتفتون إلى شيء ، رافعين رؤوسهم لا عن إرادة ولكنها مشدودة لا يملكون لها حراكًا يمتد بصرهم إلى ما يشاهدون من الرعب فلا يطرف ولا يرتد إليهم ، وقلوبهم من الفزع خاوية خالية لا تضم شيئًا يعونه أو يحفظونه أو يتذكرونه فهي هواء خواء . .

هذا هو اليوم الذي يؤخرهم الله إليه ، حيث يقفون هذا الموقف ويعانون هذا الرعب الذي يرتسم من خلال المقاطع الأربعة مذهلاً آخذًا بهم كالطائر الصغير في مخالب الباشق[٢] الرعيب ، فالسرعة المهرولة المدفوعة في الهيئة الشاخصة المكروهة المشدودة مع القلب المفزع الطائر الخاوي من كل وعي ومن كل إدراك . . كلها تشي بالهول الذي تشخص فيه الأبصار . . هذا اليوم هو اليوم الذي يؤخرهم الله إليه والذي ينتظرهم بعد الإمهال هناك . . فأنذر الناس أنه إذا جاء فلا اعتذار يومئذ ولا فكاك . اهـ . مختصرًا .

---

(١) في ظلال القرآن ٤/ ٢١١١ .

(٢) الباشق : نوع من الجوارح ، يشبه الصقر . اهـ . من المعجم الوسيط باختصار .

تحريــم الظلــم

عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال :

يا عبادي : إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرمًا ، فلا تظالموا.

يا عبادي : كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم .

يا عبادي : كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم .

يا عبادي : كلكم عار إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم .

يا عبادي : إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا ، فاستغفروني أغفر لكم .

يا عبادي : إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني .

يا عبادي : لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا .

يا عبادي : لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئًا .

يا عبادي : لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المِخْيَط إذا أُدخل البحر .

يا عبادي : إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرًا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه . رواه مسلم[1] .

---

(١) مسلم (٢٥٧٧) .

يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي :

قال العلماء معناه تقدسْتُ عنه ، وتعاليْتُ ، والظلم مستحيل في حق اللّه تعالى ، كيف يجاوز سبحانه حدًا ، وليس فوقه من يطيعه ، وكيف يتصرف في غير ملك ، والعالم كله في ملكه وسلطانه .

وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا :

حكمت بتحريمه عليكم ، فلا تتظالموا ولا يظلم بعضكم بعضًا ، وهذا توكيد وزيادة تغليظ في تحريمه، ولا بد من اقتصاصه تعالى للمظلوم من ظالمه.

يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته :

غافل عن الشرائع قبل إرسال الرسل ، أو ضال عن الحق ، إلا من وفقته للإيمان .

فاستهدوني أهدكم :

سلوني الهداية. بمعنى الدلالة على طريق الخير والإيصال إليها، أنصب لكم أدلة واضحة على ذلك ﴿**مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي**﴾ [الأعراف: ١٧٨] ، وحكمة الطلب إظهار الافتقار والإذعان والاعتراف بمقام الربوبية ورتبة العبودية.

قال الراغب : الضلال العدول عن الطريق المستقيم ويضاده الهداية .

قال النووي : إن المهتدي هو من هداه اللّه، وبهدي اللّه اهتدى، وبإرادة اللّه تعالى ، ذلك وأنه سبحانه وتعالى إنما أراد هداية بعض عباده ، وهم المهتدون ، ولم يرد هداية الآخرين ، ولو أرادها لاهتدوا .

يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته :

لأن الخلق ملكه ، ولا ملك لهم بالحقيقة ، وخزائن الرزق بيده ، ومن

لا يطعمه بفضله بقي جائع بعدله ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦] فهو التزام تفضلاً لا وجوبًا .

فاستطعموني أطعمكم :

اطلبوا مني الطعام لأنه في يده تعالى وما في يد العبد ليس بحوله وقوته فلا يد لـه بالحقيقة ، بـل اليد لرب الخليقة ، أيسر لكم أسباب تحصيله ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ﴾ [الذاريات: ٥٨] ، وهذا تأديب للفقراء فكأنه قال : لا تطلبوا الطعام من غيري فإن الذين استطعمتموهم أنا أطعمهم .

يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم :

وأسألوا اللّه من فضله فإنه لا حول ولا قوة إلا به، ولا استمساك إلا بسببه.

يا عبادي إنكم تخطئون :

بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا :

غير الشرك وما لا يشاء مغفرته ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨ ، ١١٦] .

فاستغفروني أغفر لكم :

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴾ [طه: ٨٢] .

قال المناوي : وفي هذه الجمل توبيخ يستحي منه كل مؤمن لأنه إذا لمح أنه خلق الليل ليطاع فيه سرًا استحى أن ينفق أوقاته في[1] ذلك، إلا فيه كما أنه استحى بطبعه من صرف شيء من النهار حيث يراه الخلق للمعصية.

يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني :

لن تبلغوا لعجزكم إلى مضرتي ، ولا يستقيم ولا يصح أن تضروني

(١) أي في المعاصي .

حتى أتضرر منكم .

ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني :

أي لا يتعلق بي ضرر ولا نفع فتضروني أو تنفعوني .

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم :

أي على تقوى أتقى قلب رجل واحد منكم .

ما زاد ذلك في ملكي شيئًا :

لا يستطيع أحد أن يزيد في ملك اللّه عز وجل .

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئًا .

لأنه مرتبط بقدرته وإرادته ، وهما باقيتان ذاتيتان لا انقطاع لهما ، فكذا ما ارتبط بهما ، وعائد التقوى والفجور على فاعلهما .

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد :

أي في أرض واحدة ومقام واحد .

فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي :

لأن أمري بين الكاف والنون .

قال القاضي : قيد السؤال بالاجتماع في مقام واحد لأن تزاحم السؤال مما يذهل المسئول ويبهته ويعسر عليه إنجاح مآربهم والإسعاف بمطالبهم .

إلا كما ينقص المِخْيط إذا أُدخل البحر :

المخيط : الإبرة .

لأن النقص إنما يدخل المحدود الفاني والله سبحانه واسع الفضل عظيم النوال لا ينقص العطاء خزائنه ، فخاطب العباد من حيث يعقلون وضرب لهم المثل بما هو غاية القلة ونهاية مما يشاهدونه ، فإن البحر من أعظم المرئيات والإبرة صغيرة ثقيلة لا يعلق بها شيء ، وإن فرض لكنه لا يظهر حسًا ولا يعتد به عقلاً ، فلذا شبه بها .

يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم :

أي جزاء أعمالكم ، أضبطها وأحفظها ، بعلمي وملائكتي الحفظة .

ثم أوفيكم إياها :

أعطيكم جزاءها وافيًا تامًا ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر ، والتوفية إعطاء الحق على التمام .

فمن وجد خيرًا فليحمد الله :

فمن وجد ثوابًا ونعيمًا ، أو حياة طيبة هنيئة ، فليحمد الله على توفيقه للطاعات التي يترتب عليها ذلك الخير والثواب فضلاً منه ورحمة .

ومن وجد غير ذلك :

أي شرًا ، ولم يذكره بلفظه تعليمًا لخلقه كيفية أدب النطق بالكناية عما يؤذي .

فلا يلومن إلا نفسه :

فإنها آثرت شهواتها على رضا رازقها ، فكفرت بأنعمه ولم تذعن لأحكامه وحكمه ، فاستحقت أن يقابلها بمظهر عدله ، وأن يحرمها مزايا جوده وفضله .

الظلـــم ظلمـــات

عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : «**الظلم ظلمات يوم القيامة**» . رواه البخاري ومسلم(1) .

قال ابن حجر في الفتح :

قال محارب : أظلم الناس من ظلم لغيره .

قال ابن الجوزي : الظلم يشتمل على معصيتين : أخذ مال الغير بغير حق ، ومبارزة الرب بالمخالفة ، والمعصية فيه أشد من غيرها ؛ لأنه لا يقع غالبًا إلا بالضعيف الذي لا يقدر على الانتصار ، وإنما ينشأ الظلم عن ظلمة القلب ولو استنار بنور الهدى لاعتبر ، فإذا سعى المتقون بنورهم الذي حصل لهم بسبب التقوى اكتنف ظلمات الظلم الظالم حيث لا يغني عنه ظلمه شيئًا . اهـ .

قال النووي : قوله : «**الظلم ظلمات يوم القيامة**» .

قال القاضي : قيل هو على ظاهره ، فيكون ظلمات على صاحبه ، ولا يهتدي يوم القيامة سبيلاً حتى يسعى نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم ، ويحتمل أن الظلمات هنا الشدائد ، وبه فسروا قوله تعالى : ﴿**قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**﴾ [الأنعام: ٦٣] أي من شدائدها .

ويحتمل أنها عبارة عن الأنكال والعقوبات . اهـ .

قال المناوي :

فـإن الظلم في الدنيـا ظلمات على أصحابه بمعنى أنـه يورث ظلمة

(١) البخاري (٢٤٤٧) ، ومسلم (٢٥٧٩) .

القلب ، فإذا أظلم القلب تاه وتحير وتجبر ، فذهبت الهداية والبصيرة ، فخرب القلب فصار صاحبه في ظلمة يوم القيامة . فالظلمة معنوية لمّا كان الظلم مفضيًا بصاحبه إلى الضلال الذي هو ضد الهدى كان جديرًا بالتشبيه بالظلمة كما في ضده من تشبيه الهداية بالنور .

وقيل : حسّية فيكون ظلمه ظلمات عليه فلا يهتدي في القيامة بسببه ، وغيره من المؤمنين يسعى نوره بين يديه .

قال الزمخشري :

الظلمة : هي عدم النور وانطماسه بالكلية .

وقيل : عرض ينافي النور من قولهم ما ظلمك أن تفعل كذا ، أي ما منعك وشغلك لأنها تسد البصر وتمنع الرؤية وجميعها دلالة على إرادة الجنس واختلاف أنواع الظلم الذي هو سبب لأنواع الشدائد في القيامة من الوقوف في العرصات والحساب والمرور على الصراط وأنواع العقاب في النار . اهـ .

قال المباركفوري في التحفة :

ظلمات : أسباب ظلمة لمرتكبه أو موجبات شدة لصاحبها يوم القيامة . ومفهومه أن العدل بأنواعه أنوار لأن الدنيا مزرعة الآخرة . اهـ .

* * *

ظلم المسلم للمسلم

عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : **«المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فَرَّج عن مسلم كربةً فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»** . رواه البخاري ومسلم(١) .

قال الحافظ في الفتح :

المسلم أخو المسلم : هذه أخوة الإسلام ، فإن كل اتفاق بين شيئين يطلق بينهما اسم الأخوة ، ويشترك في ذلك الحر والعبد والبالغ والمميز .

لا يظلمه : هو خبر بمعنى الأمر فإن ظلم المسلم للمسلم حرام .

ولا يسلمه : أي لا يتركه مع من يؤذيه ولا فيما يؤذيه ، بل ينصره ويدفع عنه . وهذا أخص من ترك الظلم .

ومن فرج عن مسلم كربة : أي غمه ، والكرب هو الغم الذي يأخذ النفس .

ومن ستر مسلمًا : أي رآه على قبيح فلم يظهره أي للناس ، وليس في هذا ما يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه . اهـ .

قال النووي :

من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته : أي أعانه عليها ولطف به فيها .

ومن فرج عن مسلم كربة : في هذا فضل إعانة المسلم وتفريج الكرب عنه

---

(١) البخاري (٢٤٤٢) ، ومسلم (٢٥٨٠) .

وستر زلاته ، ويدخل في كشف الكربة وتفريجها من أزالها بماله أو جاهه أو مساعدته ، والظاهر أنه يدخل فيه من أزالها بإشارته ورأية ودلالته .

وأما الستر فالمراد به الستر على ذوي الهيئات ونحوهم مما ليس هو معروفًا بالأذى والفساد . فأما المعروف بذلك فيستحب أن لا يستر عليه بل ترفع قضيته إلى ولي الأمر ، إن لم يخف من ذلك مفسدة ؛ لأن الستر على هذا يطَمّعه في الإيذاء والفساد وانتهاك الحرمات وجسارة غيره على مثل فعله .

هذا كله في ستر معصية وقعت وانقضت ، أما معصية رآه عليها وهو بعد متلبس بها فتجب المبادرة بإنكارها عليه ومنعه منها على من قدر على ذلك .

ولا يحل تأخيرها ، فإن عجز لزمه رفعها إلى وليّ الأمر إذا لم تترتب على ذلك مفسدة .

* * *

أنواع الظلم

١ ـ الشرك بالله ظلم :

قال الله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ [لقمان: ١٣] .

لقمان الحكيم ينهى ابنه عن الشرك ، ويعلل هذا النهى بأن الشرك ظلم عظيم .

قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا** ﴾ [النساء: ١١٦] .

قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٤) وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٥) وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [يونس: ١٠٤ - ١٠٦].

قل : يا أيها الناس جميعًا ، إن كنتم في شك من أن ديني الذي أدعوكم إليه هو الحق . فإن هذا لا يحولني عن يقيني ولا يجعلني أعبد آلهتكم التي تعبدونها من دون الله ، ولكن أعبد الله الذي يملك آجالكم وأعماركم ، وأنا عند الأمر لا أتعداه .

وأن أقم وجهك للدين حنيفًا : متوجهًا إليه خالصًا له ، موقوفًا عليه .

ولا تكونن من المشركين : زيادة في توكيد معنى الاستقامة للدين ، ومعنى أن يكون من المؤمنين ، عن طريق النهي المباشر عن الشرك بعد الأمر المباشر بالإيمان .

ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك : من هؤلاء المشركين، فميزان الله لا يحابي ، وعدله لا يميل .

٢ ـ قاتل نفسه ظلم :

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ تردَّى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالد مخالدًا فيها أبدًا، ومن تحسى سمّا فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**» رواه البخاري ومسلم[1] .

قال الحافظ في الفتح :

من تردى من جبل : أسقط نفسه منه ، لما يدل عليه بقوله : «**فقتل نفسه**» على أنه تعمد ذلك .

ومن تحسى : تغذى أي تجرع . اهـ .

هذا الحديث يصرح بالخلود المؤبد في حق قاتل نفسه ويفيد أن قاتل نفسه بأي آلة من الآلات القاتلة يعذب نفسه بتلك الآلة في نار جهنم فيستعملها هناك كما استعملها هنا عندما قتل نفسه ، فيجتمع عليه عذابان عذاب النار وعذاب الآلة . وقتل الإنسان نفسه هو أفظع أنواع القتل ؛ لأن حرص الإنسان على حياته أمر فطري يبعد كل البعد أن تثور عليه عوامل الغضب والانتقام ، ونفس الإنسان ليست ملكًا له ؛ فهو لم يخلق نفسه ولا عضوًا من أعضائه بل ولا خلية من خلاياه، وإنما نفسه وديعة وأمانة عنده استودعه الله عز وجل إياها ، فلا يجوز التفريط فيها ولا التصرف فيها إلا على وفق الشرع فكيف بالاعتداء عليها بالتخلص منها .

قال الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** ﴾ [النساء: ٢٩] .

---

(١) البخاري (٥٧٧٨) ، ومسلم (١٠٤ ، ١٠٩) .

فالمسلم يراد منه أن يكون صلب العود قوي العزم في مواجهة الشدائد، ولم يبح له أن يهرب من الحياة ويخلع ثوبها لبلاء نزل به، أو أمل كان يحلم به فخاب أمله، فإن المؤمن خُلِقَ للجهاد لا للقعود، وللكفاح لا للفرار .

وإيمانه باللّٰه وخلقه يأبيان عليه أن يفر من ميدان الحياة ومعه السلاح الذي لا يفل، والذخيرة التي لا تنفد ، نعم ما أعظمه من سلاح ؛ سلاح الإيمان المكين، وما أعظمها من ذخيرة ، ذخيرة الخلق المتين الذي استمده من كتاب اللّٰه وسنة رسوله محمد ﷺ .

قال اللّٰه تعالى : ﴿**فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [الزخرف: ٤٣] .

نسأل اللّٰه عز وجل العافية في الدنيا والآخرة والتوفيق إلى الاقتداء بكتاب اللّٰه سبحانه وتعالى وسنة نبيه محمد ﷺ علمًا وعملاً .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «**الذي يَخْنُق نَفْسَه يَخْنُقها في النار ، والذي يَطْعَنُها يطعنها في النار**» . رواه البخاري[١] .

عن جندب بن عبد اللّٰه أنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ : «**كان فيمن كان قبلكم رجل به جُرْح ، فجزع ، فأخذ سكينًا فحزَّ بها يده ، فما رقأ الدم حتى مات ، قال اللّٰه : بادرني عبدي بنفسه فحرمت عليه الجنة**» . رواه البخاري ومسلم[٢] .

قال الحافظ في الفتح :

كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح : جراح وهو قرحة .

فجزع : لم يصبر على ألم تلك القرحة . فأخذ سكينًا فقطع بها الجرح

(١) البخاري (١٣٦٥) .

(٢) البخاري (٣٤٦٣) ، ومسلم (١١٣) .

فلم ينقطع الدم .

قال الله عز وجل بادرني عبدي بنفسه : كناية على استعجال الموت .

حرمت عليه الجنة : جار مجرى التعليل للعقوبة لأنه لما استعجل الموت بتعاطي سببه من إنفاذ مقاتله ، فجعل له فيه اختياراً عصى الله به ، فناسب أن يعاقبه . ودل على أنه حزها لإرادة الموت لا لقصد المداواة التي يغلب على الظن الانتفاع بها .

بادرني عبدي: أن المبادرة لوجود صورتها، وإنما استحق المعاقبة لأن الله لم يطلعه على انقضاء أجله فاختار هو قتل نفسه فاستحق المعاقبة لعصيانه .

قال النووي :

يحتمل أن يكون ذلك شرع من مضى أن أصحاب الكبائر يكفرون بفلعها.

وفي الحديث تحريم قتل النفس سواء كانت نفس القاتل أم غيره ، وقتل الغير يؤخذ تحريمه من هذا الحديث طريق الأولى .

وفيه الوقوف عند حقوق الله ورحمته بخلقه حيث حرم عليهم قتل نفوسهم ، وأن الأنفس ملكٌ لله .

وفيه التحديث عن الأمم الماضية ، وفضيلة الصبر على البلاء ، وترك التضجر من الآلآم لئلا يفضي إلى أشد منها ، وفيه تحريم تعاطي الأسباب المفضية إلى قتل النفس .

قال الحافظ في الفتح[1]: قال ابن دقيق العيد :

هذا من باب مجانسة العقوبات الأخروية للجنايات الدنيوية ، ويؤخذ منه أن جناية الإنسان على نفسه كجنايته على غيره في الإثم، لأن نَفْسَه ليس مِلْكًا

(١) فتح الباري ٥٣٩/١١ .

له مطلقًا ، بل هي لله تعالى فلا يتصرف فيها إلا بما أذن له فيها .

٣ ـ قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق : ظلم :

قال الله تعالى: ﴿ **وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ** ﴾ [الأنعام : ١٥١].

قتل النفس كبيرة تلي الشرك بالله ، الله واهب الحياة ، وليس لأحد غير الله أن يسلبها إلا بإذنه، وفي الحدود التي يرسمها. وكل نفس هي حرام إلا بالحق، وهذا الحق الذي يبيح قتل النفس محدد لا غموض فيه وليس متروكًا للرأي، ولا متأثرًا بالهوى، وقد قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والزاني المحصن، والتارك لدينه المفارق للجماعة**». رواه البخاري ومسلم[١] .

فأما الأولى : هي القصاص العادل الذي إن قتل نفسًا فقد ضمن الحياة لنفوس. ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ** ﴾ [البقرة: ١٧٩] حياة بكف يد الذين يهمون بالاعتداء على الأنفس ، والقصاص ينتظرهم فيردعهم قبل الإقدام على الفعلة النكراء ، وحياة بكف يد أصحاب الدم أن تثور نفوسهم فيثأروا ولا يقفوا عند القاتل ، بل يمضوا في الثأر ، ويتبادلوا القتل فلا يقف هذا الفريق وذاك حتى تسيل دماء ودماء . وحياة يأمن كل فرد على شخصه واطمئنانه إلى عدالة القصاص . فينطلق آمنًا يعمل وينتج فإذا الأمة كلها في حياة .

وأما الثانية : فهي دفع للفساد القاتل في انتشار الفاحشة .

وأما الثالثة: فهي دفع للفساد الروحي الذي يشيع الفوضى في الجماعة، ويهدد أمنها ونظامها الذي اختاره الله لها ، ويسلمها إلى الفرقة القاتلة .

٤ ـ ترويع المسلم ظلم :

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «**مَنْ أشار إلى أخيه بحديدة**

---

(١) البخاري (٦٨٧٨) مسلم (١٦٧٦) عن ابن مسعود - رضي الله عنه - بنحوه .

فإن الملائكة تلعنه حتى يضعها ، وإن كان أخاه لأبيه وأمه» . رواه مسلم[1] .

قال الحافظ في الفتح :

قال ابن العربي : إذا استحق الذي يشير بالحديدة اللعن فكيف الذي يصيب بها ؟

وإنما يستحق اللعن إذا كانت إشارته تهديدًا سواء كان جادًا أم لاعبًا ، وإنما أُخذ اللاعب لما أدخله على أخيه من الرَّوْع ، ولا يخفى أن إثم الهازل دون إثم الجاد . اهـ .

قال المناوي :

من أشار إلى أخيه : أي في الإسلام والذي في حكمه .

بحديدة : يعني بسلاح كسكين وخنجر وسيف ورمح ونحو ذلك من كل آلة للجرح .

فإن الملائكة تلعنه : أي تدعو عليه بالطرد والبعد عن الجنة وعن الرحمة الكاملة .

وإن كان أخاه لأبيه وأمه : يعني وإن كان هازلاً لا يقصد ضربه كأن كان شقيقه ، لأن الشقيق لا يقصد قتل شقيقه غالبًا فهو تعميم للنهي ومبالغة في التحذير ، وَقُيِّدَ بمطلق الأخوة ثم قيد بأخوة الأب والأم إيذانًا بأن اللعب المحض المعري عن شَوْبِ قَصْدٍ إذا كان حكمه هذا فما بالك بغيره ؟ اهـ .

قال النووي :

فيه تأكيد لحرمة المسلم والنهي الشديد عن ترويعه وتخويفه والتعرض له بما قد يؤذيه .

---

(١) مسلم (٢٦١٦) .

وإن كان لأبيه وأمه : مبالغة في إيضاح عموم النهي في كل أحد سواء من يتهم فيه ومن لا يتهم سواء كان هزلاً ولعبًا أم لا ، لأن ترويع المسلم حرام بكل حال، ولعن الملائكة له يدل على أنه حرام .

عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّه ﷺ : «**لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزغ في يده فيقع في حفرة من النار**» . رواه البخاري ومسلم[1] .

قال الحافظ في الفتح :

لا يشير : بمعنى النهي .

فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزغ في يده :

قال الخليل : نزغ الشيطان بين القوم نزغًا حمل بعضهم على بعض بالفساد .

والمراد أنه يغري بينهم حتى يضرب أحدهما الآخر بسلاحه ، فيحقق الشيطان ضربته له .

قال ابن التين : معنى ينزعه يقلعه من يده فيصيب به الآخر ، أو يشد يده فيصيبه .

قال النووي : يرمى به في يده ويحقق ضربته فهو من الإغراء : أي يزين له تحقيق الضربة فيقع في حفرة من النار .

قال ابن بطال :

معناه أن أنفذ عليه الوعيد، وفي الحديث النهي عما يفضى إلى المحذور إن لم يكن المحذور محققًا سواء كان ذلك في جِدّ أو هزل . اهـ .

(١) البخاري (٧٠٧٢) ، ومسلم (٢٦١٧) .

٥ ـ الافتراء على الله الكذب ظلم :

قال الله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [الأنعام: ٢١] .

والظلم هنا كناية عن الشرك، في صورة التفظيع له والتقبيح، وهو التعبير الغالب في السياق القرآني عن الشرك، وذلك حين يريد أن يبشع الشرك وينفر منه ، ذلك أن الشرك ظلم للحق ، وظلم للنفس، وظلم للناس واعتداء على حق الله سبحانه في أن يوحد ويعبد بلا شريك. واعتداء على النفس بإيرادها موارد الخسارة والبوار ، واعتداء على الناس بتعبيدهم لغير ربهم الحق ، وإفساد حياتهم بالأحكام والأوضاع التي تقوم على أساس هذا الاعتداء .

ومن ثم فالشرك ظلم عظيم ، كما يقول عنه رب العالمين ، ولن يفلح الشرك ولا المشركون .

﴿ **إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾ . .

والله سبحانه يقرر الحقيقة الكلية ، ويصف الحصيلة النهائية للشرك والمشركين أو للظلم والظالمين ، فليست العبرة بما تراه العيون القصيرة النظر ، في الأمد القريب فلاحًا ونجاحًا ، فهذا هو الاستدراج المؤدى إلى الخسار والبوار . .

ومن أصدق من الله حديثًا .

وقال تعالى : ﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الأنعام: ١٤٤] .

إنه لا أحد أظلم ممن يفتري على الله شريعة لم يأذن بها ، ثم يقول : شريعة الله، وهو يقصد أن يضل الناس بغير علم. أولئك لم يهديهم الله، فقد

قطعوا ما بينهم وبين أسباب الهدى ، وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا[1] .

قال الله تعالى : ﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ** ﴾ [يونس: ١٧] .

﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ** ﴾ [العنكبوت: ٦٨] .

﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ** ﴾ [السجدة: ٢٢] .

﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ** ﴾ [الزمر: ٣٢] .

﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الإِسْلامِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الصف: ٧] .

﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا** ﴾ [الكهف: ٥٧] .

﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾ [هود: ١٨] .

٦ ـ منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ظلم :

قال الله تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [البقرة: ١١٤] .

(١) في ظلال القرآن .

إطلاق نص يوحي بأنه حكم عام في منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ، والسعي في خرابها .

أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين : أي أنهم يستحقون الدفع والمطاردة والحرمان من الأرض ، إلا أن يلجأوا إلى بيوت الله مستجيرين محتمين بحرمتها مستأمنين .

٧ ـ الكفر ظلم :

قال الله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [البقرة: ٢٥٤] .

ظلموا الحق فأنكروه ، وظلموا أنفسهم فأوردوها موارد الهلاك ، وظلموا الناس فصدوهم عن الهدى وفتنوهم عن الإيمان ، وموَّهُوا عليهم الطريق ، وحرموهم الخير الذي لا خير مثله ، خير السلم والرحمة والطمأنينة والصلاح واليقين[1] .

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيدًا (١٦٧) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا**﴾ [النساء: ١٦٧ - ١٦٩] .

الكفر في ذاته ظلم : ظلم للحق ، وظلم للنفس ، وظلم للناس .

٨ ـ الحكم بغير ما أنزل الله ظلم :

قال الله تعالى : ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [المائدة: ٤٥] .

والتعبير عام ، ليس هناك ما يخصصه ، ولكن الوصف الجديد هنا :

(١) في ظلال القرآن .

الظالمون ، وهذا الوصف الجديد لا يعني أنها حالة أخرى ، غير التي سبق الوصف فيها بالكفر، وإنما يعني إضافة صفة أخرى لمن لم يحكم بما أنزل الله. فهو كافر باعتباره رافضًا لألوهيته ـ سبحانه ـ واختصاصه بالتشريع لعباده ، وبادعائه هو حق الألوهية وبادعائه حق التشريع للناس ، وهو ظالم بحمل الناس على شريعة غير شريعة ربهم الصالحة المصلحة لأحوالهم ، فوق ظلمه لنفسه بإرادها موارد التهلكة وتعريضها لعقاب الكفر، وبتعريض حياة الناس ـ وهو معهم ـ للفساد .

وهذا ما يقتضيه اتحاد المسند إليه وفعل الشرط ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ**﴾ فجواب الشرط الثاني مضاف إلى جواب الشرط الأول ، ويعود كلاهما على المسند إليه في فعل الشرط وهو من المطلق العام[1].

٩ ـ موالاة اليهود والنصارى ظلم :

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [المائدة: ٥١].

هذا النداء موجه إلى الجماعة المسلمة في المدينة ، ولكنه في الوقت ذاته موجه لكل جماعة مسلمة ، تقوم في أي ركن من أركان الأرض إلى يوم القيامة .

فهذه صفة المسلم دائمًا ، تنهي الولاء الذي لا يكون في قلب المسلم إلا لله ورسوله والذين آمنوا .

بعضهم أولياء بعض : إنها حقيقة لا علاقة لها بالزمن . . لأنها حقيقة نابعة من طبيعة الأشياء . . وأنهم لن يكونوا أولياء لجماعة المسلمين ، في أي أرض ولا في أي تاريخ . . وقد مضت القرون تلو القرون ، ترسم

(١) في ظلال القرآن .

مصداق هذه القولة الصادقة . . لقد ولى بعضهم بعضًا في حرب محمد ﷺ والجماعة المسلمة في المدينة، وولي بعضهم بعضًا في كل فجاج الأرض . على مدار التاريخ ، ولم تختل هذه القاعدة مرة واحدة .

ثم رتب على هذه الحقيقة الأسياسية نتائجها، فإنه إذا كان اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض فإنه لا يتولاهم إلا من هو منهم، والفرد الذي يتولاهم من الصف المسلم يخلع نفسه من الصف ويخلع عن نفسه صفة هذا الصف الإسلامي وينضم إلى الصف الآخر، لأن هذه هي النتيجة الطبيعية الواقعية .

وكان ظالمًا لنفسه ولدين الله وللجماعة المسلمة ، وبسبب من ظلمه هذا يدخله الله في زمرة اليهود والنصارى الذي أعطاهم ولاءه ، ولا يهده إلى الحق ولا يرده إلى الصف المسلم .

إن الذين يحاولون تمييع هذه المفاصلة الحاسمة باسم التسامح والتقريب بين أهل الأديان السماوية يخطئون فهم معنى الدين كما يخطئون فهم معنى التسامح، فالدين هو الدين الأخير وحده عند الله، والتسامح يكون في المعاملات الشخصية لا في التصور الاعتقادي ولا في النظام الاجتماعي.

إنهم يحاولون تمييع اليقين الجازم في نفس المسلم بأن الله لا يقبل دينًا إلا الإسلام، وبأن عليه أن يحقق منهج الله الممثل في الإسلام ولا يقبل دونه فيه تعديلاً - ولو طفيفًا - هذا اليقين الذي ينشئه القرآن الكريم وهو يقرر : ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ** ﴾ [آل عمران: ١٩] . ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ** ﴾ [آل عمران: ٨٥] ﴿ **وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ** ﴾ [المائدة: ٤٩] ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ** ﴾. وفي القرآن كلمة الفصل . . ولا على المسلم من تميع المتميعين وتمييعهم لهذا اليقين .

ويصور السياق القرآني تلك الحالة التي كانت واقعة والتي ينزل القرآن من أجلها بهذا التحذير : ﴿ **فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ** ﴾ [المائدة: ٥٢][1] .

١٠ ـ أخذ الشيء بدون وجه حق ظلم :

عن سعيد بن زيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**مَنْ ظلم من الأرض شيئًا طُوِّقَه مِنْ سبع أَرَضِين**» . رواه البخاري ومسلم[2] .

قال الحافظ في الفتح :

قال الخطابي : طوقه له وجهان : أحدهما : أن معناه أنه يكلف نقل ما ظلم منها في يوم القيامة إلى المحشر ويكون كالطوق في عنقه لا أنه طوق حقيقة .

والثاني : معناه أنه يعاقب بالخسف إلى سبع أرضين أي فتكون كل أرض في تلك الحالة طوقًا في عنقه . انتهى .

ويحتمل أن يكون التطويق تطويق الإثم والمراد به أن الظلم المذكور لازم في عنقه لزوم الإثم .

قال المناوي :

يوم القيامة يجعل الأرض في عنقه كالطوق ، فينبغي المبادرة بالخروج من تلك الظلامة قيل أن يكون ممن باع جنة عرضها السموات والأرض ، بسجن ضيق بين أرباب العاهات والبليات ، ومساكن طيبة في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار ، بأعطان ضيقة آخرها الخراب والبوار ، وفي هذا الحديث تهديد عظيم للغاصب .

---

(١) في ظلال القرآن .

(٢) البخاري (٢٤٥٢) ، ومسلم (١٦١٠) .

عن علقمة بن وائل ، عن أبيه قال جاء رجل من حضرموت ورجل من كِنْده إلى النبي ﷺ فقال الحضرمي : يا رسول الله إن هذا قد غلبني على أرض لي كانت لأبي . فقال الكندي : هي أرضي في يدي أزرعها ليس له فيها حق . فقال رسول الله ﷺ للحضرمي : **«ألك بينة ؟»** قال لا ! قال : **«فلك يمينه»** قال : يارسول الله إن الرجل الفاجر لا يبالي على ما حلف عليه وليس يتورع من شيء. فقال : **«ليس لك منه إلا ذلك»** فانطلق ليحلف فقال رسول الله ﷺ لما أدبر : **«أما لئن حلف على ماله ليأكله ظلمًا ليلقين الله وهو عنه معرض»** . رواه مسلم[1] .

قال النووي :

هذا حديث فيه أنواع من العلوم ففيه :

أن صاحب اليد أولى من أجنبي يدعى عليه .

وفيه أن المدعى عليه يلزمه اليمين إذا لم يقر .

وفيه أن البينة تقدم على اليد ويقضي لصاحبها بغير يمين .

وفيه أن يمين الفاجر المدعى عليه تقبل كيمين العدل وتسقط عنه المطالبة بها.

وفيه أن أحد الخصمين إذا قال لصاحبه إنه ظالم أو فاجر أو نحوه في حال الخصومة يُحتمل منه .

عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال : **«من اقتطع حقَّ امرئٍ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة»** . فقال له رجل : وإنْ كان يسيرًا يا رسول الله ؟ قال : **«وإنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاك»** . رواه مسلم[2] .

(١) مسلم (١٣٩) .

(٢) مسلم (١٣٧) .

هذه العقوبة لمن اقتطع حق مسلم ومات قبل التوبة ، أما من تاب فيندم على فعله ورَدَّ الحقَّ إلى صاحبه وتحلل منه وعزم على أن لا يعود فقد سقط عنه الإثم، والله أعلم .

وفي هذا الحديث بيان غلظ تحريم حقوق المسلمين ، وأنه لا فرق بين قليل الحق وكثيره ؛ لقوله ﷺ : **«وإن قضيبًا من أراك»** .

عن زينب بنت أم سلمة أن أمها أم سلمة أخبرتها عن رسول الله ﷺ أنه سمع خصومة بباب حجرته ، فخرج إليها فقال : **«إنما أنا بَشَر وإنه يأتيني الخصم ، فلعل بعضَكم أن يكون أبلغ من بعض ، فأحسب أنه صدق فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار ، فليأخذها أو ليتركها»** . رواه البخاري ومسلم[1] .

قال العيني :

إنما أنا بشر : أي من البشر ولا أدري باطن ما يحكمون فيه عندي ويختصمون فيه لدي ، وإنما أقضي بينكم على ظاهر ما تقولون ، فإذا كان الأنبياء عليهم السلام لا يعلمون ذلك فغير جائز أن تصح دعوة غيرهم من كاهن أو منجم، وإنما يعلم الأنبياء من الغيب ما أعلموا به بوجه من الوحي.

أبلغ من بعض : أي أفصح في كلامه أقدر على إظهار حجته .

فأحسب أنه صدق : هو في الباطن كاذب فأحكم له بظني أنه صادق .

قطعة من النار : تمثيل يفهم منه شدة التعذيب .

وفيه من الفوائد : أن البشر لا يعلمون ما غُيِّبَ عنهم وسُتر عن الضمائر .

وأن بعض الناس أدرى بمواضع الحجة وتصرف القول من بعض .

---

(١) البخاري (٧١٨١) ، ومسلم (١٧١٣) .

وأن القاضي إنما يحكم على الخصم بما يسمع منه من إقرار وإنكار أو بينات على حسب ما أحكمته السنة في ذلك .

وأن التحري جائز في أداء المظالم .

وأن الحاكم يجوز له الاجتهاد فيما لم يكن فيه نص .

وأن الصلح على الإنكار جائز .

وأن الاقتراع والاستهام جائز .

١١ ـ ومن شر أنواع الظلم ظلم ولاة الأمور لرعيتهم :

إذا انتشر الظلم في أمة سلبت الأمن على الأرواح والأموال والأعراض، وانتشرت فيها المفاسد وسوء الأخلاق ، وفشت فيها العداوة والبغضاء ، وأكل القوي الضعيف ، وقَلَّت فيها اليد العاملة ، واتسع نطاق الجهل ، وتذهب من الأمة الشجاعة والحمية ، ويحل محلها النفاق والملق ويثمران النميمة ونقل الكلام والغضب والسرقة والاختلاس ونهب الأموال والربا والتطفيف في المكاييل والموازين والتغرير بالعامل والغش والخيانة للودائع .

وهذا كله من الظلم الذي توعد اللّه أهله وقال فيهم : ﴿**أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ [هود: ١٨] ولكنها درجات متفاوتة والجزاء على كل شيء بحسبه ولقد وصل الناس في ظلم بعضهم بعضًا إلى حد تقصر عن شرحه العبارات، وذلك أنهم لا يتهيبون ظلمًا إلا إذا رأوا بجانبه إقامة الحد الشرعي ، فإذا أمن أحدهم من العقوبات الشرعية بَطَشَ بَطْشَ الجبارين .

فإذا اشتهتْ نفسُه قَذْفَ شخص ، قَذَفَه مهما كان نَقِيَّ العِرْض .

وإذا اشتهت نفسه غِيبة غافل أو بهته ، اغتابه أو بهته .

وإذا اشتهت نفسه سب إنسان أو شتمه، سبه وشتمه بل ولعنه، والعياذ باللّه .

وإذا اشتهت نفسه ضربه ، ضربه ضربًا لا رحمة معه .

وإذا هَمَّ بأكل مال ، نَفَّذَ ذلك بغاية الجرأة والوقاحة وبطرق شتى .

وإن سولتْ له نفسه أن يطعن بنسب إنسان وحسبه ، طعن طعنًا تقشعر منه الأبدان .

وإذا زينت له نفسه أن يقتل إنسانًا ، أراق دمه في الحال غير مفكر وغير متندم .

وهكذا من توغل في الظلم وأمن العقوبة لا يقوّم نفسه لَوْنٌ من الظلم ، إلا نفذه مسرعًا كأنه لا يؤمن بالبعث ولا بالموت ولا بالحساب .

ولذلك ترى نيران الظلم تلتهب في أنحاء الدنيا بحالة تزعج الناظرين ، ولقد غفل الناس عن عواقب الظلم دنيا وأخرى ولو علموا أن شقاء الدنيا والآخرة وليدُ الظلم ، وأثر ما له من آثار ما دنا من الظلم أحدٌ ولو لبهيم لا يُحسب له أدنى حساب ، فالظلم يتغير منه قلب المظلوم ويتفاوت التغير بتفاوت ما للظلم من مقدار ، وعلى قدر ذلك الظلم يكون الغضب والانتقام خصوصًا إذا كان المظلوم ضعيفًا لا ناصر له .

فكِلِ الظلومَ إلى صرف الليالي ... فإنها ستبدي له ما لم يكن في حسابه
فكم رأينا ظالمًا متمردًا يرى ... النجم تِيهًا تحت رِكابه
فعَمَّ قليلٍ وهو في غفلاته ... أناخت صروف الحادثات ببابه
وجُوزي بالأمر الذي كان غافلاً ... وصَبَّ عليه اللّهُ سَوْطَ عذابه

وأنواع الظلم كثيرة جدًا منها غير ما ذكر :

١ ـ أكل مال اليتيم .

٢ ـ مماطلة الغني .

٣ ـ أن تُظلم المرأة في نحو صداق أو نفقة أو كسوة .

٤ ـ عدم إيفاء الأجير حقه .

٥ ـ ظلم الذِّمِّي بأخذ ماله تعديًا .

قال ابن مسعود ـ رضي اللّه عنه(١) : يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة فينادى به على رءوس الخلائق ، هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليأت إلى حقه . قال : فتفرح المرأة أن يكون لها حق على ابنها أو أخيها أو زوجها ثم قرأ ﴿ **فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون** ﴾ ، قال : فيغفر اللّه من حقه ما شاء ولا يغفر من حقوق الناس شيئًا ، فينصب العبد للناس ثم يقول اللّه عز وجل لأصحاب الحقوق : «**ائتوا إلى حقوقكم**» ، قال : فيقول العبد : يارب فنيت الدنيا فمن أين أوتيهم حقوقهم ؟ فيقول اللّه للملائكة : «**خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذي حق حقه بقدر طلبته**» ، فإن كان عبدًا وليًا للّه وفضل له مثقال ذرة ضاعفها اللّه تعالى له حتى يدخله الجنة بها ، وإن كان عبدًا شقيًا ولم يفضل له شيء فتقول الملائكة : «**ربنا فنيت حسناته وبقي طالبون**» ، فيقول اللّه عز وجل : «**خذوا من سيئاتهم فأضيفوا إلى سيئاته ، ثم صكوا به صكًا إلى النار**» .

* * *

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٤١٦) ، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٤) ، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٠٢) من طريق عيسى بن يونس عن هارون بن عنترة عن زاذان عن ابن مسعود به زاد ابن المبارك بين هارون وزاذان عبدَ اللّه بنَ السائب .

قال أبو نعيم : «تفرد به عنه - أي هارون تفرد به عن - زاذان ، ورواه يحيى بن زكرياء الأنصاري عنه مختصرًا مرفوعًا» ثم أخرجه مرفوعًا .

الانتصار من الظالم

قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ [الشورى: ٣٩]

قال البغوي[1]:

الذين إذا أصابهم البغي : الظلم والعدوان .

هم ينتصرون : ينتقمون من ظالميهم من غير أن يعتدوا .

قال عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي[2]:

قال الجمهور : إن المؤمن إذا بغى على مؤمن وظلمه فلا يجوز للآخر أن ينتصف منه بنفسه ويجازيه على ظلمه .

مثال ذلك : أن يخون الإنسان آخر ثم يتمكن الإنسان من خيانته .

قال ابن كثير[3]:

أي فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم واعتدى عليهم ، وليسوا بالعاجزين ولا الأذلين ، بل يقدرون على الانتقام ممن بغى عليهم ، وإن كانوا مع هذا إذا قدروا عَفَوْا ، كما قال يوسف عليه السلام لأخوته : ﴿ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ [يوسف: ٩٢] مع قدرته على مؤاخذتهم ومقابلتهم على صنيعهم إليه .

وكما عفا رسول الله ﷺ عن أولئك النفر الثمانين الذين قصدوه عام

---

(١) تفسير البغوي (٤/ ١٢٩) .

(٢) تفسير الوجيز (٥/ ٤٠) .

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٧٨) .

الحديبية ونزلوا من جبل التنعيم فلما قدر عليهم مَنَّ عليهم مع قدرته على الانتقام[1] .

وكذلك عفوه ﷺ عن غورث بن الحارث[2] الذي أراد الفتك به حين اخترط سيفه وهو نائم فاستيقظ ﷺ وهو في يده مصلتا فانتهره فوضعه في يده وأخذ رسول اللّه ﷺ السيف من يده ودعا أصحابه ثم أعلمهم بما كان من أمره ، وأمر هذا الرجل وعفا عنه .

وكذلك عفا ﷺ عن لبيد بن الأعصم الذي سحره عليه السلام ومع هذا لم يعرض له ولا عاتبه مع قدرته عليه .

وكذلك عفوه عن المرأة اليهودية وهي زينب بنت أخت مرحب اليهودي الخيبري الذي قتله محمد بن مسلمة ـ التي سمت الذراع يوم خيبر ـ فأخبره الذراع بذلك فدعاها فاعترفت . فقال ﷺ : «**ما حملك على ذلك ؟**» قالت : أردت إن كنت نبيًا لم يضرك وإن لم تكن نبيًا استرحنا منك فأطلقها عليه الصلاة والسلام، ولكن لما مات منه بشر بن البراء ـ رضي اللّه عنه قتلها به .

قال سيد قطب[3]:

﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ** ﴾ ذكر هذه الصفات في القرآن ذو دلالة خاصة ، فهي تقرير لصفة أساسية في الجماعة المسلمة ، صفة الانتصار من البغي ، وعدم الخضوع للظلم . وهذا طبيعي بالنسبة لجماعة أُخرجت للناس لتكون خير أمة لتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتهيمن على حياة البشرية بالحق والعدل ، وهي عزيزة باللّه ﴿ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِه**

(١) أصل هذه القصة عند مسلم (١٨٠٧) الجهاد والسير عن سلمة بن الأكوع - رضي اللّه عنه .
(٢) أصله في مسلم (٨٤٣) صلاة المسافرين عن جابر .
(٣) في ظلال القرآن (٥/ ٣١٦٦) .

وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] فمن طبيعة هذه الجماعة ووظيفتها أن تدفع العدوان، وإذا كانت هناك فترة اقتضت لأسباب محلية في مكة ، والمقتضيات تربوية في حياة المسلمين الأوائل من العرب خاصة أن يكفوا أيديهم ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فذلك أمر عارض يتعلق بخصائص الجماعة الثابتة الأصلية .

قال حسنين محمد مخلوف[١]:

يجوز الانتصار، والتسامح أولى، فقد ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ ما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمات الله .

قال الشيخ عبد الحميد كشك[٢]:

روى أن النبي ﷺ لما كُسرت رباعيته ، وشُجَّ وجهُه يومَ أحد شق ذلك على أصحابه شقًا شديدًا ، وقالوا : لو دعوت عليهم . فقال : «**إني لم أبعث لَعْانًا ، ولكني بعثت داعيًا ورحمة ، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون**» . رواه مسلم[٣] .

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ منتصرًا من مظلمته ظلمها قط، ما لم تكن حرمة من محارم الله وما ضرب بيده شيئًا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما ضرب خادمًا ولا امرأة. رواه أحمد[٤] .

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا   منها وما يتعشق الكبراء
زانتك في الخلق العظيم شمائل   يغري بهن ويولع الكرماء

---

(١) تفسير مخلوف (٢/ ٢٩١) .
(٢) تفسير كشك (٦/ ٢٥٤٦) .
(٣) مسلم (٨٧/ ٢٥٩٩) .
(٤) المسند (٦/ ٣٢) .

قال اللّه تعالى : ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨] .

قال الطبري[١]:

لا يحب اللّه تعالى ذكره أن يجهر أحدنا بالدعاء على أحد .

إلا من ظلم : يقول إلا من ظلم فيدعو على ظالمه فإن اللّه جل ثناؤه لا يكره له ذلك ، لأنه قد رخص له في ذلك .

قال البغوي[٢]:

لا يحب اللّه الجهر بالقبح من القول إلا من ظلم ، فيجوز للمظلوم أن يخبر عن الظالم وأن يدعو عليه ، قال تعالى : ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤١] .

قال الحسن : دعاؤه عليه أن يقول : اللهم أعني عليه ، اللهم استخرج حقي منه . وقيل : إن شتم جاز أن يشتم بمثله لا يزيد عليه .

قال القرطبي[٣]:

أي لكن من ظلم فله أن يقول : ظلمني فلان ، وقد استدل من أوجب الضيافة بهذه الآية ، قالوا : لأن الظلم ممنوع منه فدل على وجوبها ، وهو قول الليث بن سعد .

والذي يقتضيه ظاهر الآية أن للمظلوم أن ينتصر من ظالمه ـ ولكن مع اقتصاد ـ إن كان مؤمنًا كما قال الحسن .

فأما أن يقابل القذف بالقذف ونحوه فلا ، وإن كان كافرًا ، فأرسل

(١) جامع البيان (٦/١) .

(٢) تفسير البغوي (١/٤٩٣) .

(٣) أحكام القرآن (٢/١٩٩٧) .

لسانك وادع بما شئت من الهلكة وبكل دعاء كما فعل النبي ﷺ .

حيث قال : «**اللهم اشدد وَطْأتك على مُضَر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف**» .

وقال : اللهم عليك بفلان وفلان سماهم .

وإن كان مجاهرًا بالظلم دعى عليه جهرًا .

عن عمرو بن الشَّريد عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال : «**لَيُّ الواجد ظُلْمٌ يحل عِرْضُه وعقوبتُه**» .

ليُّ : مَطْل .

الواجد : القادر .

قال ابن المبارك : يحل عرضه يغلظ له ، وعقوبته يحبس .

وفي صحيح مسلم «**مطل الغني ظلم**» .

فالموسر المتمكن إذا طُولب بالأداء ومطل فهو ظالم ، وذلك يبيح من عرضه أن يقال فيه : فلان يمطل الناس ويحبس حقوقهم ، ويبيح للإمام تأديبه وتعزيزه حتى يرتدع عن ذلك .

قلت : وهذا شأن كثير من الظلمة ودأبهم ، فإنهم مع ظلمهم يستطيلون بألسنتهم وينالون من عرض مظلوميهم ما حرم عليهم .

قال ابن كثير[(١)]:

لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلومًا فإنه قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه وذلك قوله : ﴿**إِلَّا مَن ظُلِمَ**﴾ وإن صبر فهو خير له .

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**المستبان ما**

(١) القرآن العظيم (١/٨٦٨) .

قالا ، فعلى البادئ منهما ما لم يعتد المظلوم» . رواه أبو داود[1] .

قال المراغي[2]:

لا يحب الله الجهر بالسوء من القول : حب الله لشيء هو الرضا به والإنابة عليه .

والجهر يقابل السر والإخفاء .

والسوء من القول ما يسوء من يقال فيه كذكر عيوبه ومساويه التي تؤذي كرامته .

والله لا يحب الجهر بالعيوب والسيئات لما في ذلك من المفاسد الكثيرة وأهمها :

١ ـ أنه مجلبة للعداوة والبغضاء بين من يجهر بالسوء ومن ينسب إليه هذا السوء ، وقد يصل الأمر إلى هضم الحقوق وسفك الدماء .

٢ ـ أنه يؤثر في نفوس السامحين تأثيرًا ضارًا بهم ، فقد جرت العادة بأن الناس يقتدى بعضهم ببعض ، فمن رأى إنسانًا يسب آخر لضغائن بينه وبينه ، أو لكراهته إياه قلده في ذلك ، ولا سيما إذا كان من الأحداث الذين يغلب عليهم التقليد ، إذ عامة الناس يقلدون خواصهم ، فسماع السوء كعمله ، فلذلك يؤثر في نفس الرائي والناظر ، والجهر بالسوء أشد ضرارًا من الإسرار به ؛ لأن ضرره وفساده يفشو في جمهرة الناس .

إلا من ظلم : أي لكن من ظلمه ظالم فجهر بالشكوى من ظلمه شارحًا ظلامته لحاكم أو غيره ممن ترجى نجدته ومساعدته على إزالة هذا الظلم

---

(١) أبو داود (٤/ ٢٧٤) (الصحيح ٦٦٩٧) .

(٢) تفسير المراغي (٦/ ٤) .

فلا حرج عليه في ذلك ؛ فإن الله لا يحب لعباده أن يسكتوا على الظلم ، ولا أن يخضعوا للضيم بل يحب لهم العزة والإباء . .

فالسكوت على الظلم مدعاة فشوه والتمادي فيه ، وذلك مما يؤدى إلى هلاك الأمم وخراب العمران .

قال سيد قطب[1]:

لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم :

في هذه الحالة يكون الوصف بالسوء انتصارًا من ظلم ، ودفعًا لعدوان، وردا لسوء بذاته قد وقع بالفعل على إنسان بذاته ، وتشهيرًا بالظلم في المجتمع ، لينتصف المجتمع للمظلوم ، وليخشى الظالم عاقبة فعله ، فيتردد في تكراره . والجهر بالسوء عندئذ يكون محدد المصدر ، محدد السبب . فهو الظلم المعين الذي يصفه المظلوم موجهًا إلى شخص بذاته ، هو الذي وقع منه الظلم ، عندئد يكون الخير الذي يتحقق بهذا الجهر مبرراً له ، ويكون تحقيق العدل والنصفة هو الهدف لا منطلق التشهير . . إن الإسلام يحمي سمعة الناس ـ ما لم يظلموا ـ فإذا ظلموا لم يستحقوا هذه الحماية ، وأذن للمظلوم أن يجهر بكلمة السوء في ظالمه ، وكان هذا هو الاستثناء الوحيد مِنْ كَفِّ الألسنة عن كلمة السوء ، وهكذا يوفق الإسلام بين حرصه على العدل الذي لا يطيق معه الظلم وحرصه على الأخلاق الذي لا يطيق معه خدشًا للحياء النفسي والاجتماعي .

*** * ***

(١) في ظلال القرآن (٢/ ٧٩٦) .

لعن الظالمين

قال اللّه تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨] .

قال الطبري[١]:

يقول تعالى ذكره : وأي الناس أشد تعذيبًا ممن اختلق على اللّه كذبًا فكذب عليه ، أولئك يعرضون على ربهم .

ويقول الأشهاد : هؤلاء الذين يكذبون على ربهم يعرضون يوم القيامة على ربهم ، فيسألهم عما كانوا في دار الدنيا يعملون .

قال البغوي[٢]:

ومن أظلم ممن افترى على اللّه كذبًا ، فزعم أن له ولدًا أو شريكًا ، أي : لا أحد أظلم منه .

أولئك : يعني الكاذبين والمكذبين .

يعرضون على ربهم : فيسألهم عن أعمالهم .

ويقول الأشهاد : يعني الملائكة الذين كانوا يحفظون أعمالهم ، وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رءوس الخلائق ﴿هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ .

---

(١) جامع البيان (١٢/ ٢٠) .

(٢) تفسير البغوي (٢/ ٣٧٨) .

قال المراغي[1]:

لا أحد أظلم لنفسه ممن افترى على الله كذبًا في وحيه وأقواله وأفعاله ، وأحكامه أو صفاته أو اتخاذ الشفعاء والأولياء له بدون إذنه أو في زعم أنه اتخذ ولدًا من الملائكة كالعرب الذين قالوا : بنات الله ، والنصارى الذين قالوا: المسيح ابن الله، أو تكذيب ما جاء به رسله من دينه لصد الناس عن سلوك سبيله، ففي يوم القيامة تعرض أعمال هؤلاء وأقوالهم على ربهم لمحاسبتهم ويقول الذين يقومون للشهادة عليهم من الملائكة والأنبياء وصالحي المؤمنين: هؤلاء الذين كذبوا على ربها بالافتراء عليه، ويفضحونهم بهذه الشهادة المقرونة باللعنة الدالة على خروجهم من محيط الرحمة .

عن صفوان بن محرز المازني قال : بينما أنا أمشي مع ابن عمر - رضي الله عنهما آخذ بيده إذ عرض رجل فقال : كيف سمعت رسول الله ﷺ في النجوى ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول : أتعرف ذنب كذا ، أتعرف ذنب كذا . فيقول : نعم أيْ رب . حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك ، قال : سترتُها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم . فيُعطى كتابَ حسناته وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد ﴿هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾** » . رواه البخاري[2].

قال الحافظ في الفتح ١٠/ ٥٠٣

النجوى : هي ما تكلم به المرء يسمع نفسه ولا يسمع غيره ، أو يسمع غيره سرًا دون مَنْ يليه .

(١) تفسير المراغي (١٢/ ٢٠) .

(٢) البخاري (٢٤٤١ - ٦٠٧٠) .

والمراد بها هنا المناجاة التي تقع من الرب سبحانه وتعالى يوم القيامة مع المؤمنين .

يدني المؤمن : أي يقرب منه قرب كرامة وعلو منزلة(*) .

كنفه : الكنف الستر وهو المراد هنا .

وأنا أغفرها لك اليوم : تعرض أعمال المؤمن عليه حتى يعرف منة اللّه في سترها عليه في الدنيا وفي عفوه عنها في الآخرة .

أما الكافر فينادى على رءوس الأشهاد : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة اللّه على الظالمين .

قال المُهَلَّب : في الحديث تفضل اللّه على عباده بستره لذنوبهم يوم القيامة وأنه يغفر ذنوب من شاء منهم ، بخلاف قول من أنفذ الوعيد على أهل الإيمان لأنه لم يستثنى في هذا الحديث ممن يضع عليه كنفه وستره أحدًا إلا الكفار والمنافقين ، فإنهم الذين ينادى عليهم على رءوس الأشهاد باللعنة .

قلت : أن المراد بالذنوب ما يكون بين المرء وربه سبحانه وتعالى دون مظالم العباد ، فمقتضى الحديث أنها تحتاج إلى المقاصمة ، وأن العصاة من المؤمنين يوم القيامة على قسمين :

أحدهما : من معصيته بينه وبين ربه ، وهذا القسم على قسمين :

قسم تكون معصيته مستورة في الدنيا فهذا الذي يسترها اللّه عليه يوم القيامة وهو بالمنطوق .

وقسم تكون معصيته مجاهرة فدل مفهومه على أنه بخلاف ذلك .

(*) قرب اللّه سبحانه وتعالى : قرب يليق بكماله سبحانه ولكن لا نعرف الكيف . اهـ .

والقسم الثاني : مـن تكون معصيته بينه وبين العباد فهـم على قسمين أيضًا :

قسم ترجـح سيئاتهم وحسناتهم فهـؤلاء يقعون في النار ثـم يخرجون بالشفاعة، وقسم تتساوى سيئاتهم وحسناتهم فهـؤلاء لا يدخلون الجنة حتى يقع بينهم التقاص. اهـ .

***

دعوة المظلوم

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما أن النبي ﷺ بعث معاذًا إلى اليمن فقال : «**واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب**» . رواه البخاري(١) .

قال الحافظ في الفتح :

واتق دعوة المظلوم : أي تجنب الظلم لئلا يدعو عليك المظلوم .

وفيه تنبيه على المنع من جميع أنواع الظلم ، وأنها ليس لها صارف يصرفها ولا مانع وأنها مقبولة وإن كان عاصيًا .

قال الطيبي : **اتق دعوة المظلوم :** تذييل لاشتماله على الظلم الخاص من أخذ الكرائم وعلى غيره .

فإنها ليس بينها وبين الله حجاب : تعليل للاتقاء وتمثيل للدعاء كمن يقصد دار السلطان متظلمًا فلا يحجب . اهـ .

قال المناوي :

اتقوا دعوة المظلوم : أي اجتنبوا دعوة من تظلمونه وذلك مستلزم لتجنب جميع أنواع الظلم على أبلغ وجه وأوجز إشارة وأفصح عبارة لأنه إذا اتقى دعاء المظلوم لم يظلم فهو أبلغ من قوله لا تظلم فإنك إن ظلمت ودعا عليك استجيب له وإن كان عاصيًا مجاهرًا . اهـ .

عن خزيمة بن ثابت قال : قال رسول الله ﷺ : «**اتقوا دعوة المظلوم**

(١) البخاري (٢٤٤٨) .

فإنها تحمل على الغمام ، يقول الله : وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين» . رواه الطبراني(١) .

قال المناوي :

فإنها تحمل على الغمام : أي يأمر الله برفعها حتى تجاوز الغمام أي السحاب الأبيض حتى تصل إلى حضرته تقدس .

وقيل الغمام شيء أبيض فوق السماء فإذا سقط لا تقوم به السموات السبع بل يتشققن . قال الله تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ** ﴾ [الفرقان: ٢٥] وعلى هذا فالرفع والغمام حقيقة .

قال القاضي : استأنفت لهذه الجملة لفخامة شأن دعاء المظلوم واختصاصه بمزيد قبوله ورفعه على الغمام . وفتح أبواب السماء له مجاز عن إثارة الآثار العلوية وجميع الأسباب السماوية على انتصاره بالانتقام من الظالم وإنزال البأس عليه .

يقول تعالى : وعزتي وجلالي لأنصرنك : أي لاستخلصن لك الحق ممن ظلمك .

ولو بعد حين : أي أمد طويل . بل دل به سبحانه على أنه يمهل الظالم ولا يهمله ﴿ **وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ** ﴾ [الكهف: ٥٨] . اهـ .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : **«اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة»** . رواه الحاكم(٢) .

---

(١) الطبراني (١/ ١٨٦) (الصحيحة ٨٧٠ . صحيح الجامع ١١٦) .

(٢) المستدرك (١/ ٢٩) (صحيح الجامع ١١٧ ، صحيحة ٨٧١) .

قال المناوي :

كأنها شرارة : كناية عن سرعة الوصول ؛ لأنه مضطر في دعائه وقد قال تعالى : ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ** ﴾ [النمل: ٦٢] وكلما قوي الظلم قوي تأثيره في النفس فاشتدت ضراعة المظلوم فقويت استجابته . والشرر ما تطاير من النار في الهواء ، شَبَّه سرعة صعودها بسرعة طيران الشرر من النار . اهـ .

عن أنس ـ رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ قال : «**اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرًا ، فإنها ليس دونها حجاب**» . رواه أحمد[١] .

قال المناوي :

وإن كان كافرًا : معصومًا[٢] فإن دعوته إن كان مظلومًا مستجابة وفجوره على نفسه .

ليس دونها حجاب : أي ليس بينها وبين القبول حجاب مانع ، والحجاب هنا ليس حسيًا لاقتضائه نوعًا من البعد واستقرار في مكان واللّه سبحانه وتعالى منزه عن ذلك ، وأقرب لكل شيء من نفسه .

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «**ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة الوالد ، ودعوة المسافر ، ودعوة المظلوم**» . رواه الترمذي وابن حبان وأحمد[٣] .

قال المناوي :

دعوة الوالد لولده ودعوة المسافر ودعوة المظلوم على ظالمه : لأن السفر

(١) المسند (٣/ ١٥٣) (حسن . صحيح الجامع ١١٨ ، صحيحة ٧٦٦) .
(٢) كان يكون معاهدًا أو ذميًا أو مستأمنًا . واللّه أعلم . [الناشر] .
(٣) الترمذي (٢/ ٢٥٦ - ابن حبان ٢٤٠٦ - المسند ٢/ ٢٥٨) (الصحيحة ٥٩٦) .

مظنة حصول انكسار القلب بطول الغربة عن الأوطان ، وتحمل المشاق ، والانكسار من أعظم أسباب الإجابة ، والمظلوم مضطر .

وعلينا أن نتقي دعوة المظلوم بالبعد عن الظلم ، حتى لا نعرض أنفسنا لدعائه لأنه مستجاب ، وإن كان من غير المسلمين كما دلت السنة الشريفة على ذلك .

* * *

نصر المظلوم

عن أنس - رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**» ، قالوا : يا رسول اللّه هذا ننصره مظلومًا ، فكيف ننصره ظالمًا ؟ قال : «**تأخذ فوق يديه**» . رواه البخاري[1] .

قال الحافظ في الفتح :

كنى به عن كفه عن الظلم بالفعل إن لم يكف بالقول .

قال ابن بطال : النصر عند العرب الإعانة ، وتفسيره لنصر الظالم يمنعه من الظلم ، من تسمية الشيء بما يؤول إليه ، وهو من وجيز البلاغة .

قال البيهقي : معناه أن الظالم مظلوم في نفسه فيدخل فيه ردع المرء عن ظلمه لنفسه حسًا ومعنى ، فلو رأى إنسانًا يريد أن يَجُبَّ نفسَه ، لظنه أن ذلك يزيل مفسدة طلبه للزنا مثلاً ، منعه من ذلك وكان ذلك نصرًا له ، واتحد في هذه الصورة الظالم والمظلوم . اهـ .

قال المناوي :

أي منعك إياه من الظلم نصرك إياه على شيطانه الذي يغويه وعلى نفسه الأمارة بالسوء ، لأنه لو ترك على ظلمه جره إلى الاقتصاص منه فمنعه من وجوب القود ونصره له وهذا من قبيل الحكم للشيء وتسميته بما يؤول إليه ، وهو من عجيب الفصاحة ووجيز البلاغة . اهـ .

---

(١) البخاري (٢٤٤٤) .

عن جابر قال: اقتتل غلامان: غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار. فنادى المهاجر : يال المهاجرين ، ونادى الأنصاري : يال الأنصار ، فخرج رسول الله ﷺ فقال : «**ما هذا دعوى أهل الجاهلية ؟** » قالوا : لا يا رسول الله ألا إن غلاميين اقتتلا فكَسَعَ أحدهما الآخر قال : «**فلا بأس ولينصر الرجل أخاه ظالمًا أو مظلومًا ، إن كان ظالمًا فلينهه فإنه له نصر ، وإن كان مظلومًا فلينصره**» . رواه مسلم[1] .

دل الحديث على وجوب نصرة الأخ لأخيه .

قال النووي :

اقتتل غلامان : أي تضاربا .

يال المهاجرين : يال الأنصار : أدعو المهاجرين واستغيث بهم .

دعوى الجاهلية : تسميته ﷺ دعوى الجاهلية هو كراهة منه لذلك ، فإنه مما كانت عليه الجاهلية من التعاضد بالقبائل في أمور الدنيا ومتعلقاتها وكانت الجاهلية تأخذ حقوقها بالعصبات والقبائل ، فجاء الإسلام بإبطال ذلك وفصل القضايا بالأحكام الشرعية .

فكسع أحدهما الآخر : أي ضرب دبره وعجيزته ، بيدٍ أو رِجْلٍ أو سَيْفٍ أو غيره .

فلا بأس : فمعناه لم يحصل من هذه القصة بأس مما كنت خفته ، فإنه خاف أن يكون حدث أمر عظيم يوجب فتنة وفسادًا وليس عائدًا إلى رفع كراهة الدعاء بدعوى الجاهلية . اهـ .

عن أبي موسى – رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**المؤمن للمؤمن**

---

(١) مسلم (٢٥٨٤) .

كالبنيان يشد بعضه بعضًا ، وشَبَّك بين أصابعه» . رواه البخاري ومسلم[1] .

قال الحافظ في الفتح :

هو فرض كفاية وهو عام بالمظلومين وكذلك في الناصرين بناء على أن فرض الكفاية مخاطب به الجميع ، وهو الراجح ، وشرط الناصر أن يكون عالمًا بكون الفعل ظلمًا ، ويقع النصر مع وقوع الظلم ، وهو حينئذ حقيقة . وقد قيل وقوعه كمن أنقذ إنسانًا من يد إنسان طالبه بمال ظلمًا ، وهدده إن لم يبذله ، وقد يقع بَعْدُ ، وهو كثير .

قال ابن بطال : والمعاونة في أمور الآخرة وكذا في الأمور المباحة من الدنيا مندوب إليها .

قال المناوي :

المؤمن للمؤمن : المراد بعض المؤمنين لبعض .

كالبنيان : أي الحائط ، لا يتقوى في أمر دينه ودنياه إلا بمعرفة أخيه كما أن بعض البنيان يقوى بعضه .

ثم شبك أصابعه : التشبيك تشبيهًا لتعاضد المؤمنين بعضهم ببعض كما أن البنيان الممسك بعضه ببعض يشد بعضه بعضًا ، وذلك لأن أقواهم لهم ركن وضعيفهم مستند لذلك الركن القوي فإذا والاه قوي بما بباطنه .

قال الراغب : إنه لما صعب على كل أحد أن يحصل لنفسه أدنى ما يحتاج إليه إلا بمعاونة عدة له فلقمةَ طعام لو عددنا تعب تحصيلها من زرع وطحن وخبز وصناع آلاتها لصعب حصره فلذلك قيل : الإنسان مدني بالطبع ولا يمكنه التفرد عن الجماعة بعيشه بل يفتقر بعضهم لبعض في

---

(١) البخاري (٢٤٤٦) ، ومسلم (٢٥٨٥) .

مصالح الدارين .

عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما قال : أمرنا النبي ﷺ بسبع ونهانا عن سبع فذكر عيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وتشميت العاطس ، ورد السلام ، ونصر المظلوم وإجابة الداعي ، وإبرار القسم . رواه البخاري[1] .

* * *

(١) البخاري (٢٤٤٥) .

واتقوا فتنة

قال اللّه تعالى : ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [الأنفال : ٢٥] .

والفتنة : الابتلاء أو البلاء . . والجماعة التي تسمح لفريق منها بالظلم في صورة من صوره ـ وأظلم الظلم نبذ شريعة اللّه ومنهجه للحياة ـ ولا تقف في وجه الظالمين . ولا تأخذ الطريق على المفسدين . . جماعة تستحق أن تؤخذ بجريرة الظالمين المفسدين . . فالإسلام منهج تكافلي إيجابي لا يسمح بأن يقعد القاعدون عن الظلم والفساد والمنكر يشيع .

(فضلاً عن أن يَرَوْا دينَ اللّه لا يتبع ، بل أن يروا ألوهية اللّه تُنكر وتقوم ألوهية العبيد مقامها) .

وهم ساكتون ، ثم بعد ذلك يرجون أن يخرجهم اللّه من الفتنة ؛ لأنهم هم في ذاتهم صالحون طيبون . . ولما كانت مقاومة الظلم تكلف الناس التكاليف في الأنفس والأموال فقد عاد القرآن يذكر العصبة المسلمة ـ التي كانت تخاطب بهذا القرآن أول مرة ـ بما كان من ضعفها وقلة عددها ، وبما كان من الأذى الذي ينالها والخوف الذي يظللها . .

وكيف آواها اللّه بدينه هذا وأعزها ورزقها رزقًا طيبًا . .

فلا تقعد إذن عن الحياة التي دعاها إليها رسول اللّه ﷺ ولا عن تكاليف هذه الحياة التي أعزها بها اللّه وأعطاها وحماها .

* * *

ولا تركنوا إلى الذين ظلموا

قال تعالى : ﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ (١١٣) وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (١١٤) وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [هود: ١١٣ - ١١٥] .

لا تستندوا ولا تطمئنوا إلى الذين ظلموا إلى الجبارين الطغاة الظالمين أصحاب القوة في الأرض الذين يقهرون العباد بقوتهم ويعبّدونهم لغير الله من العبيد . . لا تركنوا إليهم فإن ركونكم إليهم يعني إقرارهم على هذا المنكر الأكبر الذي يزاولونه . ومشاركتهم إثم ذلك المنكر الكبير .

فتمسكم النار : جزاء هذا الانحراف .

وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون : والاستقامة على الطريق في مثل هذه الفترة أمر شاق عسير يحتاج إلى زاد يعين ، والله سبحانه يرشد رسوله ﷺ ومن معه من القلة المؤمنة إلى زاد الطريق .

* * *

القصاص من الظالم في الآخرة

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي اللّه عنه عن رسول اللّه ﷺ قال : «**إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار ، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا اتقوا وهُذِّبوا أُذن لهم بدخول الجنة ، فوالذي نفس محمد بيده ، لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا**» . رواه البخاري[1] .

قال الحافظ في الفتح :

إذا خلص المؤمنون من النار : أي نجوا من السقوط فيها بعد ما جازوا على الصراط .

قال القرطبي : هؤلاء المؤمنون هم الذين علم اللّه أن القصاص لا يستنفد حسناتهم .

قلت : ولعل أصحاب الأعراف منهم على القول الراجح آنفًا ، وخرج من هذا صنفان من المؤمنين: من دخل الجنة بغير حساب، ومن أوبقه عمله.

فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار : إن الصراط جسر موضوع على متن جهنم، وإن الجنة وراء ذلك، فيمر عليه الناس بحسب أعمالهم، فمنهم الناجي وهو من زادت حسناته على سيئاته ، أو استويا ، أو تجاوز اللّه عنهم .

ومنهم الساقط وهو من رجحت سيئاته على حسناته إلا من تجاوز اللّه عنه، فالساقط من الموحدين يعذب ما شاء اللّه ثم يخرج بالشفاعة وغيرها.

والناجي قد يكون عليه تبعات وله حسنات وتوازيها أو تزيد عليها فيؤخذ

---

(١) البخاري (٢٤٤٠) .

من حسناته ما يعدل تبعاته فيخلص منها ، واختلف في القنطرة المذكورة فقيل : هي من تتمة الصراط ، وهي طرفه الذي يلي الجنة .

وقيل : إنهما صراصان ، وبهذا الثاني جزم القرطبي .

لأحدهما أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا : يهديهم ربهم بإيمانهم إلى طريق الجنة . اهـ .

عن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال : **«من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها ، فإنه ليس ثَمَّ دينار ولا درهم ، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته ، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه»** . رواه البخاري[1] .

قال الحافظ في الفتح :

أنه يعطى خصماء المؤمن المسئ من أجر حسناته ما يوازي عقوبة سيئاته، فإن فنيت حسناته أخذ من خطايا خصومه فطرحت عليه ، ثم يعذب إن لم يعف عنه ، فإذا انتهت عقوبة تلك الخطايا أُدخل الجنة بما كتب له من الخلود فيها بإيمانه ، ولا يُعطى خصماؤه ما زاد من أجر حسناته على ما قابل عقوبة سيئاته يعني من المضاعفة ، لأن ذلك من فضل اللّه يختص من وافى يوم القيامة مؤمنًا واللّه أعلم .

قال الحُميدي في كتاب الموازنة: الناس ثلاثة، من رجحت حسناته على سيئاته أو بالعكس أو تساوت حسناته وسيئاته، فالأول فائز بنص القرآن، والثاني يقتص منه بما فضل من معاصيه على حسناته من النفخة إلى آخر من يخرج من النار بمقدار قلة شره وكثرته، والقسم الثالث: أصحاب الأعراف.

---

(١) البخاري (٦٥٣٤) .

وقال أيضًا : والحق أن من رجحت سيئاته على حسناته على قسمين :

١ ـ من يعذب ثم يخرج من النار بالشفاعة .

٢ ـ ومن يعفى عنه فلا يعذب أصلاً .

وعند أبي نُعيم[١] من حديث ابن مسعود: يؤخذ بيد العبد فينصب على رءوس الناس وينادى منادٍ : هذا فلان بن فلان فمن كان له حق فليأت . فيأتون فيقول الرب : «**آتِ هؤلاء حقوقَهم**» . فيقول : يارب فنيت الدنيا فمن أين أوتيهم . فيقول للملائكة : «**خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كلَّ إنسان بقدر طلبته**» . فإن كان ناجيًا وفضل من حسناته مثقال حبة من خردل ضاعفها الله حتى يدخل بها الجنة .

وعن حذيفة قال : صاحب الميزان يوم القيامة جبريل ، يرد بعضهم على بعض ولا ذهب يومئذ ولا فضة ، فيؤخذ من حسنات الظالم فإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم فردت على الظالم .

وعن جابر بن عبد الله رفعه : «**لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده مظلمة حتى أقصه منه ، حتى اللطمة**» . قلنا يا رسول الله: كيف وإنما نحشر حفاة عراة ؟ قال: «**بالسيئات والحسنات**» .

وفي حديث أبي سعيد : «**إن الله يقول : لا يجاوزني اليوم ظلم ظالم**»[٢] .

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «**أتدرون ما المفلس ؟**» قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : «**إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا**

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٨) .

(٢) فتح الباري (١١/ ٤٠٤ ، ٤٠٥) .

وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته ، قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار» . رواه مسلم[1] .

قال النووي :

إن المفلس من أمتي. إلخ: معناه أن هذا حقيقة المفلس، وأما من ليس له مال ومَنْ قَلَّ ماله فالناس يسمونه مفلسًا، وليس هو حقيقة المفلس؛ لأن هذا أمر يزول وينقطع بموته، وربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته .

وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث، فهو الهالك الهلاك التام، والمعدوم الإعدام المنقطع فتؤخذ حسناته لغرمائه، فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه، ثم ألقى في النار فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه.

قال المازَري : وزعم بعض المبتدعة أن هذا الحديث معارض لقوله تعالى : ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ**﴾ [الإسراء: ١٥ ، فاطر : ١٨] وهذا الاعتراض غلط وجهالة بينة ؛ لأنه إنما عُوقب بفعله ووزره وظلمه ، فتوجهت عليه حقوق لغرمائه ، فدفعت إليهم من حسناته فلما فرغت وبقيت بقية قُوبلت على حسب ما اقتضته حكمة اللّه تعالى في خلقه وعدله في عباده ، فأخذ قدرها من سيئات خصومه ، فوضع عليه ، فعوقب به في النار ، فحقيقة العقوبة إنما هي بسبب ظلمه ، ولم يعاقب بغير جناية وظلم منه ، وهذا كله مذهب أهل السنة . واللّه أعلم .

عن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال : **«لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة ، حتى يقاد للشاة الجَلْحاء من الشاة القَرْناء»** . رواه مسلم[2] .

---

(١) مسلم (٢٥٨١) .

(٢) مسلم (٢٥٨٢/ ٦٠) البر والصلة .

قال النووي :

لتؤدن الحقوق إلى أهلها : هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتها يوم القيامة ، كما يعاد أهل التكليف من الآدميين ، وكما يعاد الأطفال والمجانين ، ومن لم تبلغه دعوة ، وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة ، قال اللّه تعالى : ﴿ **وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ** ﴾ [التكوير: ٥] وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقل ولا شرع وجب حمله على ظاهره .

قال العلماء :

وليس من شرط الحشر والإعادة في القيامة والمجازاة والعقاب والثواب . وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف ، إذ لا تكليف عليها ، بل هو قصاص مقابلة ، والجلحاء بالمد هي الجَمَّاء التي لا قَرْن لها . واللّه أعلم .

شعب العدل :

١ ـ العدل المنزلي :

يعدل الرجل في منزله ، فيرى الأبناء والأولاد والدًا حكيمًا ، شغوفًا رحيمًا، يزن الأمور بمعيار الحكمة ، فلا يميل لغير الحق ، يسوي بين الصغير والكبير ، والذكر والأنثى وبذلك يطمئنون إلى أنه المرشد الأبي والواعظ الوفي ، فيخشون بأسه ، ويرقبون حركاته ، ويتخيلون ذاته في غيبته إذا غاب ، ويعظمونه إذا حضر، فيهتدون بهديه ، ويتبعون سنته وتراه الزوجة رجلاً عادلاً ، فتهوى منه الخُلُق الذي يحفظ حقها ، يمنعه عدله عن ظلمه إياها فتهبه منها صدقًا وإخلاصًا وبرًا ووفاء .

٢ ـ **العدل المالي :**

ويعدل الرجل في ماله فلا ينفقه إسرافًا وتبذيرًا ولا يقذف به في مسارب الفساد وإنما يبذلـه في وجوه البـر ، ويقدمه في سبيل الخيـر والإصلاح ، يقرضه للّه قرضًا حسنًا ، يبغي ثواب الدنيا وجزاء الآخرة ، واضعًا نصب عينيه قوله تعالى : ﴿**وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ**﴾ [سبأ: ٣٩] .

٣ ـ **العدل الجاري :**

ويعدل الجار مع جاره ، فيحفظ جواره ، حتى لا يحس منه بأسًا ، ولا يخشى منه رهقًا فيكافئه على ذلك بالسهر على حراسته في ماله وأهله ونفسه وعرضه .

٤ ـ **العدل الرئاسي :**

ويعدل الرئيس في رئاسته فيعطي كل ذي حق حقه ، ويسوي بين الكافة منهم وبين أقاربه وحواشيه ، يقدم من يستحق التقديم ، ولو كان بعيدًا ، ويؤخر من يستحق التأخير ولو كان قريبًا ، فيكون عند الناس المحبوب المرموق والسيد المطاع .

٥ ـ **العدل الوطني :**

ويعدل الرجل في وطنه ، فيعمل لخيره ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، ويجد في حمايته ، ويسعى لرقيه ، ويسهر الليالي في سبيل إعلاء شأنه حتى يرضى ربه وضميره فينام هادئًا ، قرير العين ، مثلوج الفؤاد .

٦ ـ **العدل الحكمي :**

ويعدل الحاكم في حكمه، فيكون قِوام كل مائل عن الحق، وقصد كل جائر وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ومفزع كل ملهوف، كالراعي

الشفيق على ما يرعى ، فهو القائم بين الله وبين عباده ينظر إلى الله بقلبه ، ويذكر عباده المظلومين ويراهم ببصره ، واضعًا نصب عينيه ﴿**وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ**﴾ [النساء: ٥٨] .

إن الفرد منكم إذا عدل مع نفسه فاتقى الله تعالى في سره ونجواه ، فلم يكذب ولم ينخدع ولم يغش ، طاب عيشه ، ونعم باله ، فتسعد أيامه ويحسن حاله ، ويفوز بخيري الدنيا والآخرة ، وإذا عدلت الجماعة باتفاق الكلمة ، واتحاد الصف ، ونبذ أسباب الخلاف وبالتناصر على الحق ، والتعاون على البر ، والدفاع عن الشرف والدين والذود عن العرض والكرامة ، مُدْركةٌ أن حياة الفرد بحياة المجموع ، تبدل خوفها أمنًا وشقاؤها سعادة ، وملكت من بعد ضعف قوة ، واستبدلت الذل عزًا .

إمام العدالة :

كان نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه مثالاً حيًا وإمامًا كبيرًا ونبراسًا كاملاً للعدل في قوله ، وفي فعله ، وفي بيته مع أزواجه ، ومع الناس قريبهم وبعيدهم سواء .

ومن مواقف عدله ﷺ :

أنه قال لأصحابه ذات يوم : «**من له عندي حق فليأخذ به**» .

فجاءه رجل وقال : أنا يا رسول الله لي عليك حق ضربت ظهري عندما كنت تسوي الصفوف قبل بدء المعركة - في إحدى المعارك .

فقال عليه الصلاة والسلام : «**دونك ظهري فخذ حقك**» .

فقال الرجل : إنك يا رسول الله ضربتني وظهري عارٍ .

فنزع عليه الصلاة والسلام عن ظهره ، فما كان من ذلك الصحابي إلا

أن قبله في خاتم النبوة[1] .

وهذا خليفة رسول الله أبو بكر الصديق يقول في أول خطاب له : أيها الناس إني قد وُلِّيتُ عليكم ولستُ بخيركم ، فإن أحسنتُ فأعينوني ، وإن أسأتُ فقوموني ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم .

ففي ظل هؤلاء الأمراء الأحرار ، سطر التاريخ للمسلمين أروع صفحات المجد ، ومكّن الله لهم في الأرض حتى سادوا المشارق والمغارب وخلدوا بذلك أروع سيرة وأعطر ذكرى ، بل قد حرص هؤلاء الأمراء الأحرار على مناشدة أفراد الرعية ، أن لا يقصروا في نصحهم إن أخطأوا ، أو تقويمهم إن اعوجوا .

وما أحوجَ المسلمين في كل زمان ومكان إلى الإمام العادل ، فإن يومًا واحدًا من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة وإنَّ حدًا يقام في الأرض أزكى وأفضل من مطر أربعين صباحًا .

فأحب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة وأدناهم مجلسًا الإمام العادل وأبغض الناس إلى الله تعالى وأقصاهم منه مجلسًا الإمام الجائر .

* وهذا هو الفاروق عمر يقف غداة توليته فيقول: أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أصبت فأعينوني، وإن اعوججت فقوموني.

فقام إليه رجل وقال : والله يا أمير المؤمنين لو اعوججت لقومناك بسيوفنا.

فما كان من عمر إلا أن قال : الحمد لله الذي جعل في المسلمين من

(١) أخرج أبو يعلى (٥٧٥٤) عن ابن عمر بنحوي هذه القصة وإسناده ضعيف جدًا وانظر «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٨٨) وعبد الرزاق (٩/ ٤٦٥ - ٤٧٠) .

يقوم اعوجاج عمر إذا اعوج .

فكان عمر مثالاً في النزاهة والتجرد من حظوظ النفس وكانت جميع أعماله خالصة لله وفي الله .

* وصية الإمام الحسن البصري لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز حيث قال : يا أمير المؤمنين ، الإمام العادل : هو قوام كل مائل عن الحق ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ومفزع كل ملهوف .

والإمام العادل يا أمير المؤمنين ، كالراعي الشفيق على ما يرعى ، وكالأب الحاني على ولده ، كالقلب بين الجوانح ، تصلح الجوانح بصلاحه ، وتفسد بفساده .

والإمام العادل : هو القائم بين الله وبين عباده ، يسمع كلام الله ويسمعهم وينقاد إلى الله ويقودهم ، فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما مَلَّكَ الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدَّد المال وشرَّد العيال .

واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده ، وقلة أشياعك وأنصارك عنده .

واذكر إذا بُعثر من في القبور ، وحصل من في الصدور ، فالأسرار ظاهرة والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولا تحكم بحكم الجاهلين ، ولا تسلك سبيل الظالمين ، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين .ولا تنظر إلى قدرتك اليوم ، ولكن انظر إلى قدرتك غدًا ، وأنت مأسور في حبائل الموت، وموقوف بين يدي الله تعالى ، في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١] .

للعدل مظاهر يتجلى فيها منها :

ـ العدل مع اللّه تعالى بأن لا يشرك معه في عبادته وصفاته غيره ، وأن يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر .

ـ العدل في الحكم بين الناس بإعطاء كل ذي حق حقه وما يستحقه .

ـ العدل بين الزوجات والأولاد فلا يفضل أحدًا على آخر ، ولا يُؤثر بعضهم على بعض .

ـ العدل في القول فلا يشهد زورًا ، ولا يقول كذبًا أو باطلاً .

ـ العدل في الأفعال فلا يظلم ولا يخون ولا يغش ولا يدلس .

ـ العدل في المعتقد فلا يعتقد غير الحق والصدق ، ولا يثني الصدر على غير ما سوى الحقيقة والواقع .

للعدل ثمرات فمن ثمراته : إشاعة الطمأنينة في النفوس . روى أن قيصر أرسل إلى عمر بن الخطاب رسولاً لينظر أحواله ويشاهد أفعاله فلما دخل المدينة سأل عن عمر فخرج في طلبه فرآه نائمًا فوق الرمل وقد توسد درته وهي عصا صغيرة كانت دائمًا في يده يغيّر بها المنكر ، فلما رآه على هذه الحال وقع الخشوع في قلبه وقال : رجل تحترمه جميع الملوك لا يقر لهم قرارًا من هيبته وتكون هذه حالته ؟! ولكنك حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر . ومَلِكُنَا يجور ، فلا جرم أنه لا يزال ساهرًا خائفًا .

هذه الشهادة التي شهدها رسول قيصر ستظل خالدة إلى يوم القيامة ؛ لأنها شهادة صدق تمثل بها عمر بن الخطاب مثال العدل والورع والإيمان ـ رضي اللّه عنه .

أمثلة لعدالة الإمام :

المثال الأول لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه وأرضاه : كان يريد أن يوسع المسجد الحرام فيضم إليه بيت العباس بن عبد المطلب ، ويعوض العباس مالاً من بيت المال ثمنًا لبيته . فلنرى عمر في عدله . وعمر في زهده. وعمر في صفاته وعمر في وفائه . وعمر في خوفه من الله عز وجل . إنني أسوق هذا المشهد للعالم كله عامة ولحكام الأرض خاصة . فحدث العباس عن منزله ، فقال العباس : لا يا أمير المؤمنين . لا أسمح لك بهذا . . فقال له يا عباس : إنه المسجد . . فقال العباس : ولكن تضمها بغير إذني لا آذن لك بذلك . فماذا فعل عمر ؟ هل حوله إلى المحكمة ؟ هل حوله إلى المدعي الاشتراكي ؟ هل أصدر قرارًا بتشكيل محكمة عسكرية ؟ إنه المسجد الحرام . فداره لا تحول إلى دار سينما أو دار عرض أو دار أوبرا . إنما يوسع بها المسجد، قال الله عز وجل فيه : **﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾** [الحج: ٢٦] .

قال عمر : إذًا ماذا أصنع ؟ قال العباس : اختر قاضيًا يحكم بيني وبينك يا أمير المؤمنين .

قال عمر : بل اختر أنت قاضيًا حتى لا أظلمك في الاختيار ، حتى لا تقول إن عمر استعمل سلطانه . فقال العباس : اختار القاضي شريحًا ـ قاضي اسمه (شريح) ـ قال : وأنا قبلت .

قال العباس : أرسل إليه يا أمير المؤمنين يأتك إلى هذا المكان . فقال له : بل أنا الذي أذهب إليه . فإن القاضي لا يأتي وإنما يُؤتى إليه .

ويذهب عمر إلى دار القضاء يقف بجانب العباس والقاضي يحكم وإذا

بالقاضي يعلم الحكم ويقول يا أمير المؤمنين .

فقال له عمر : لا تخاطبني بأمير المؤمنين . إنما خاطبني بعمر فإن مجلس القضاة لا يعرف تفرقة. فقال : اسمع يا عمر ؟ ماذا : يا شريح ؟ قال : إن نبي الله داود أراد أن يوسع المسجد الأقصى بدار بجوار المسجد الأقصى فأوحى الله إليه وقال : «**يا داود لا توسع بيتي بدار غيري . فإن أبعد البيوت عن الحرام بيتي..**» .

لا مصادرة في الإسلام ولا حراسة ولا تأميم إنما هناك محاسبة عادلة .

وحكم لصالح العباس . . فماذا فعل عمر للقاضي ؟ هل حاكمه ؟ هل نفاه إلى مكان بعيد ؟ هل عزله ؟ هل عاقبه ؟ كلا والله إنما انصرف عمر بعد ما أصدر قرارًا إسلاميًا بترقية القاضي من قاضي المدينة إلى وزير عدل في دولة العراق كلها. . ما جَمَّد ترقيته ولا آذاه . .

إنما أنصفه ووضعه في المكان المناسب لأنه لم يخش أمير المؤمنين .

العدل هو العدل لا يتجزأ ولا ينقسم ، إنما هو جوهر بسيط لا يقبل الانقسام ولا الانشطار ، إنه كالذرة بما فيها من كهارب سالبة وأخرى موجبة بما فيها من الكترونات ونواة . إذا انشطرت الذرة انفجر ما حولها ودمر ، كذلك العدل . . العدل لا يتجزأ إذا تجزأ انشطر وانفجر ودمر وخرب . وبينما عمر والعباس منصرفان إذ العباس يقول لعمر : يا أمير المؤمنين أشهد الله أني قد تنازلت عن داري برضا نفس لبيت الله الحرام . بعد سماع الحكم . حتى لا تؤخذ الدار قَسْرًا ولا قَهْرًا . حتى لا تُغتصب الحقوق . . إنما الحقوق تؤدى بالرضا وبالعدالة.

المثال الثاني :

كان عمر بن الخطاب وهو ينفض الليل عن الكروب المخبوءة فوجد

نارًا في ظلام الليل تهتك حجاب الظلام ، وكان معه عبد الرحمن بن عوف فقال له : هيا بنا لنرى ماذا وراء هذه النار ؟ البرد قارس . . والظلام دامس . . والناس نائمون . .

الرعية نائمون والراعي لا يعرف جفنه النوم ، وبينه وبين النوم جفوة وعداء . . يحلب شياه اليتامى ويرقع ثياب الأيامى . .

فيذهب ويجد أمام النار امرأة حولها أطفالها أحدهم يقول : أمي أكاد أن أموت جوعًا . والثاني يقول : أمي ارحمي الضلوعا . والثالث يقول : أمي إلا أحظى بأكل قبلهما أمضي صريعًا . وعمر العملاق أمام هذا المشهد الرهيب المهيب المفزع فيسألها : ماذا هذا الذي على النار يا أمة اللّه ؟ فتقول له : قدر فيه ماء ، وفي الماء حصى على النار حتى أخدع الصبية فيناموا . فيسألها عمر مم تشكين ؟ فتقول له : اللّه اللّه في عمر (وهي لا تعرف من تكلم) فيقول لها : وما ذنب عمر ؟ فتقول له : أيلي أمرنا ويغفل عنا ؟ كل هذا وعمر يسمع والكلام يدخل في أذنيه فيطرق مجال القلب فيستقر في القلب فيتمكن من القلب أي تمكن؟ ولم يستطع عمر بذلك صبرًا فأخذ عبد الرحمن بن عوف وذهب به إلى وزارة تموينه وحمل جوالاً من الدقيق على ظهره ، وقال لحارس الخزانة : احمل عليّ : قال له : عنك أم عليك يا أمير المؤمنين . قال بل احمل عليّ . فقال : عنك أم عليك يا أمير المؤمنين . قال عمر : ثكلتك أمك بل احمل عليّ ، أأنت تحمل عني ذنوبي يوم القيامة ؟؟ .

هذا هو عمر يا من تتمثلون بعمر يحمل الدقيق على ظهره ويمشي على الأرض وبيده سمن وعسل، ويذهب إلى أم اليتامى ويجلس أمام النار وينفخ فيها، ويتخلل دخانها من لحيته ليقي نفسه نار الآخرة ويخلط الدقيق على

السمن على العسل ويضع أمام الأطفال وبيده الشريفة يطعمهم مما صنعه . فتنظر أم اليتامى إليه وتقول له : والذي بعث محمدًا بالحق . إنك أحق بالخلافة من عمر . فيقول لها عمر : يا أمة الله إذا كان الغد فأت إلى عمر فسوف أكلمه بشأنك.

وينصرف عمر ولكنه لم ينصرف إلى إحدى استراحاته ليقضي بقية الليل أمام لهو ولعب . إنما انصرف ليختبئ ويختفي وراء شجرة ، يقول له عبد الرحمن بن عوف : البرد شديد يا أمير المؤمنين هيا بنا فيقول له عمر : والله لا أغادر مكاني هذا حتى أتركهم يضحكون كما أتيتهم وهو يبكون . .

حتى دموع الأطفال يحاسب عليها نفسه ؟ .

وقال عبد الرحمن بن عوف : ذهبنا لنصلي الفجر فوقف عمر يصلي إمامًا لأنه خليفة المسلمين . قال عبد الرحمن : والله الذي لا إله غيره لم أستطع أن أتبين قراءة القرآن من عمر في صلاته لشدة بكائه ؟ انطبقت السماء على الأرض؟ دكت الأرض دكًا؟ رجت الأرض رجًا ؟ بست الجبال بسًا ؟ فكانت هباء منبثًا ؟ نعم . لو عثرت بغلة في العراق لسألني الله عنها لماذا لم تصلح لها الطريق يا عمر؟

ويأتي الصباح وتذهب أم اليتامى وتدخل مقر القيادة وإذا بالرجل . وإذا بالرجل الذي كان معها جالس وعن يمينه علي بن أبي طالب وعن يساره ابن مسعود وكلاهما يقول يا أمير المؤمنين ، وسرعان ما دب في خاطرها أهذا عمر ؟ الذي قلت له بالأمس أشكوك إلى الله ؟ الذي قلت له أيلي أمرنا ويغفل عنا ؟ إرتعدت أوصالها ؟ تفككت أعصابها ، اكفهر وجهها واصفر لونها . فزعت كأن الزلزال تحت قدميها أو كأن زلزلة الساعة قامت عليها . وإذا بعمر يتدارك الأمر فيقول لها : لا عليك بأس يا أمة الله ، أنا عمر ،

أتدري فيم دعوتك ؟ دعوتك لتبيعي لي مظلمتك التي ظلمتك إياها بالأمس. بكم تبيعيها ؟ فقالت: عفوًا يا أمير المؤمنين. قال: اشتريها بستمائة درهم. اشهد يا عليّ. اشهد يا ابن مسعود. **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** : هذه مظلمة فلانة اشتراها منها عبد اللّه عمر بن الخطاب وشهد على ذلك علي وابن مسعود. وأقبضها الثمن. وقال: إذا أنا مت فضعوا هذه الوصية بين كفني وجسدي حتى ألقى اللّه بها يوم القيامة. هذا هو عمر وهذا عدله، وهذه صراحته وتلك رحمته، وهاتيك صرامته، وهذه نخوته، وهذه رجولته.

مثال ثالث للعدل في الحكم :

عن أنس بن مالك قال: كنا عند عمر بن الخطاب إذ جاءه رجل من أهل مصر فقال: يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك. قال: وما لك ؟ قال: أجرى عمرو بن العاص الخيل بمصر فأقبلت فرس لي فلما رآها الناس قام محمد بن عمرو فقال: فرسي ورب الكعبة. فلما دنا مني عرفته فقلت: فرسي ورب الكعبة. فقام يضربني بالسوط ويقول: خذها خذها، وأنا ابن الأكرمين. قال: فواللّه ما زاد عمر على أن قال: اجلس. ثم كتب لعمرو: (إذا جاءك كتابي هذا فأقبل وأقبل معك بابنك محمد. قال: فدعا عمرو ابنه فقال: أأحدثت حدثًا، أجنيت جناية ؟ قال: لا. قال: فما بال عمر يكتب فيك ؟ قال: فقدمنا على عمر قال أنس: فواللّه أنا لعند عمر بمنى إذ نحن بعمرو وقد أقبل في إزار ورداء، فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه، فإذا هو خلف أبيه. فقال: أين المصري ؟ فقال: ها أنا ذا. قال: دونك الدِّرَّة اضربْ ابنَ الأكرمين. قال: فضربه حتى أثخنه. ثم قال: اجعلها على صلعة عمرو فواللّه ما ضربك إلا بفضل سلطانه. فقال:

يـا أمير المؤمنين لقـد ضربتُ من ضربني . فقال : أمـا والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذي تدعه ، يا عمرو : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا ؟ ثم التفت إلى المصري . فقال : انصرف راشدًا فإن رأبك ريب فاكتب إليّ .

مثال رابع لعدالة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه :

عن أبي فراس قال : خطب عمر بن الخطاب فقال : يا أيها الناس ألا إنما كنا نعرفكم إذ بين أظهرنا النبي ﷺ وإذ ينزل الوحي وإذ ينبئنا الله من أخباركم . ألا وإن النبي ﷺ قد انطلق وانقطع الوحي وإنما نعرفكم بما نقول لكم : من أظهر منكم خيرًا ظننًا به خيرًا وأحببناه عليه . ومن أظهر لنا شرًا ظننا به شرًا وأبغضناه عليه . سرائركم بينكم وبين ربكم ، ألا وإنه قد أتى عليّ حين وأنا أحسب أن رجلاً قرأ القرآن يريد الله وما عنده ، فقد خيل لي بأخرة أن رجالاً قد قرأوه يريدون ما عند الناس ، فأريدوا الله بقراءتكم وأريدوه بأعمالكم . ألا وإني والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكن أرسلتهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم ، فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إليّ ، فوالذي نفسي بيده إذن لأقصنه (أي لأجرين عليه حكم القصاص) فوثب عمرو ابن العاص . فقال : يا أمير المؤمنين أفرأيت إن كان رجل من المسلمين على رعيته فأدّب بعض رعيته إنك لمقصه منه ؟ قال : إي والذي نفس عمر بيده إذن لأقصنه منه ، إنـّي لا أقص منه وقد رأيت رسول الله ﷺ يقص من نفسه ؟ ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوهم الغياض (جمع غيضة وهي الشجر الملتف لأنهم إذا نزلوها تفرقوا فيها فتمكن منهم العدو) فتضيعوهم .

مثال خامس :

عن جرير بن عبد اللّه البجلي : أن رجلاً كان مع أبي موسى الأشعري وكان ذا صوت ونكاية في العدو ، فغنموا مغنمًا ، فأعطاه أبو موسى بعض سهمه ، فأبى أن يقبله إلا جميعًا . فجلده أبو موسى عشرين سوطًا وحلقه.

فجمع الرجل شعره ، ثم ترحل إلى عمر بن الخطاب حتى قدم عليه فدخل على عمر . قال جرير : وأنا أقرب الناس من عمر ـ فأدخل يده فاستخرج شعره ثم ضرب به صدر عمر بن الخطاب وقال : أما واللّه لولا . . . فقال عمر : صدق لولا النار . فقال يا أمير المؤمنين : إني كنت ذا صوت ونكاية في العدو وأخبره بأمره . وقال : ضربني أبو موسى عشرين سوطًا وحلق رأسي وهو يرى أن لا يقتص منه . فقال عمر : لأن يكون الناس كلهم على صرامة هذا أحب إلي من جميع ما أفاء اللّه عليّ . فكتب عمر إلى أبي موسى : سلام عليكم أما بعد فإن فلانًا أخبرني بكذا وكذا فإن كنت فعلت ذلك في ملأ من الناس فعزمت عليك لما قعدت له في ملأ من الناس حتى يقتص منك ، وإن كنت فعلت ذلك في خلاء من الناس فاقعد له في خلاء من الناس حتى يقتص منك .

فقدم الرجل فقال له الناس : اعفُ عنه . فقال : لا واللّه لا أدعه لأحد من الناس . فلما قعد أبو موسى ليقتص منه رفع الرجل رأسه إلى السماء ثم قال : اللهم قد عفوت عنه .

عن عامر الشعبي قال : قال عمر : واللّه لقد لان قلبي في اللّه حتى هو ألين من الزبد ، ولقد اشتد قلبي في اللّه حتى لهو أشد من الحجر . عن المبارك بن فضالة قال : كان بين عمر بن الخطاب وبين رجل كلام في

شيء ، فقال له الرجل : اتق الله يا أمير المؤمنين . فقال له رجل من القوم : أتقول لأمير المؤمنين اتق الله ؟ فقال له عمر : دعه فليقلها لي ، لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نقبلها منكم .

قال علي فكري في كتابه (البيان الفاصل بين الحق والباطل) :

أوصى الله سبحانه وتعالى بإقامة العدل ، وجعله أساس الملك ، وروح العمران ، وأساس المدنية والحضارة .

والعدل : هو إيصال الحق إلى مستحقيه ، وهو وضع الشيء في محله ، وهو ميزان الله تعالى في الأرض يأخذ به الضعيف حقه من القوي ، والمحق من المبطل ، وبه قوام الدنيا والدين وسبب صلاح الخلق وهدايتهم إلى طريق الحق، وبه تتآلف القلوب وتلتئم الشعوب وتزول الخطوب والكروب ويشمل الناس التناصف ويضعهم التواصل والتعارف وبه تعمر البلاد ، وتسعد العباد ، وتؤمن السبل وتنمو التجارات ، وتدر الأرزاق والخيرات ويعم الصلاح الخاصة والعامة.

قال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ لبعض عماله : عليكم بالعدل وتباعدوا عن الجور ولا تغدروا إن عاهدتم ولا تنقضوا إن صالحتم .

والعدل الذي يجب على كل إنسان التمسك به يكون بإعطاء كل ذي حقه لا أكثر ولا أقل .

فالبائع الذي يكيل المشتري بقدر ما اتفقا عليه فهو عادل ، ويجوز رضا زبائنه ويربح حلالاً وتتسع تجارته، والموظف الذي يقوم بأداء واجبه حق القيام فهـو عادل ويفوز برضا رئيسه ومحبة إخوانـه ، ويستحق التقدم والترقي.

والرئيس الذي يسوي بين مرؤسيه فيما يعهد إليهم من عمل يوزع بينهم بشاشته وعطفه ويعطي كل واحد ما يستحق من مكافأة وترقية ولا يرقى صنيعه له ، ولا يغش عن معايب ذوي الحظوة عنده ، ثم يحصي على غيرهم أنفاسهم وهفواتهم ، بل يكون الكل لديه سواء فيما هو من مقتضيات الوظيفة ومستلزمات الأعمال .

* * *

المحاكمة الكبرى(*)

قال اللّه تعالى : ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] .

أصل القِسط بالكسر : هو العدل ، وأريد به هنا الوصف مبالغة ، أي العادلة ، أو ذوات العدل .

نضع : نحضر .

وصفها بذلك لأن الميزان قد يكون مستقيمًا ، وقد يكون بخلافه ، فبين أن تلك الموازين تجري على حد العدل .

والقَسط : بالفتح الجَوْر ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥] .

قال الحسن :

هو ميزان له كِفتان ولسان .

وأكثر الأقوال أنه ميزان واحد ، وإنما جمع لاعتبار تعدد الأعمال الموزونة .

وكما أن في الدنيا محاكمة نجد في الآخرة محاكمة أيضًا ، ولكنها المحاكمة الكبرى .

وهذه المحاكمة الكبرى تشابه محاكمات الدنيا من إعلان بالدعوى ، ومحضر ويوم معين للفصل والقضاء ، ومكان محدد للمحاكمة ، وقاض

(*) صوت المنبر .

يفصل بين المتخاصمين ، وورقة اتهام تقدم أمام الحاكم ، وشهود لعقد الجلسات وفيها أيضًا : أحكام تصدر للأبرياء ، وأحكام تصدر على المجرمين ، أحكام عادلة لا ظلم فيها ولا إجحاف .

صحائف المحكمة :

وهذه الصحائف هي الكتاب المبين .

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤] .

مبلّغ المحكمة :

رسول كريم وصادق كريم ، حمل إلى البشرية جميعًا رسالة هذه المحاكمة .

قال اللّه تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨) فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [التوبة: ١٢٨، ١٢٩] .

وقال اللّه تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٧] .

يوم معين :

﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩] .

من يقضي بالحق ؟

رب العالمين، رب السماوات والأرضين، الذي لا تخفى عليه خافية ،

ولا يجدى أمامه جدل ، ولا يغني حسب ولا نسب ، ولا تنفع زعامة ولا وزارة ، ولا رئاسة ولا إمارة ، الشريف والوضيع ، والأمير والحقير والغني والفقير ، والقوي والضعيف كلٌّ لدى الحق سواء .

افتتاح المحكمة :

كل خصم يقف أمام خصمه جنبًا إلى جنب ، ويقول الحاكم حين افتتاح المحكمة وقت عقد الجلسة: ﴿**مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾ [ق: ٢٩] .

ففي ذلك اليوم ينادي العلي الأعلى ، لمن الفصل اليوم ؟ لمن القضاء اليوم؟ فيجيب الخلق جميعًا طائعها وعاصيها ، مسلمها وكافرها ، قائلين جميعًا بصوت واحد : ﴿**لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾ [غافر: ١٦] .

نداء الحاكم :

وهنا ينادي الجبار الحاكم العادل ، ملك الملوك ورب الأرباب :

﴿**الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ**﴾ [غافر: ١٧] .

موقف الحاكم من الخصم :

الحاكم الآمر الذي يقضي بين عباده بالحق ويحكم بينهم بالعدل ، ولا يقبل الحكم استئنافًا ، ولا تمييزًا ، ولا تنفع الوجاهات ولا الوساطات ، ولا تقبل الهدايا ولا الرشوات ، حساب دقيق ، يحاسب العبد على الصغيرة والكبيرة ولا يظلم ربك أحدًا ، وما هو بظلام للعبيد ، ولا ينقص من أعمالنا شيئًا .

قال اللّه تعالى : ﴿**وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٤٠] .

سبحانه وتعالى تعنو الوجوه لعظمته ، وتضطرب القلوب من هيبته ، وتخشع الجوارح خوفًا من عذابه ونقمته .

﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه: ١١١] .

وفي ذلكم اليوم المشهود تقدم لكل إنسان صحيفة .

﴿ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤] .

شهود المحكمة :

وفي ذلكم اليوم العظيم تُسمع شهادة الشهود تمامًا ، شهود أبرياء ، صادقين لا يرتشون أبدًا ، ولا تشترى ذممهم بالمال ، ولا يشك في صدقهم ولا في معرفتهم .

قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النور: ٢٤] .

وقالوا لجلودهم ، وقالوا لأيديهم ، وقالوا لألسنتهم ، وقالوا لجوارحهم : لم شهدتم علينا ؟

قالوا مجيبين بصوت واضح : ﴿ أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [فصلت: ٢١] .

صدور الحكم :

والحكم الذي يصدر في ذلك اليوم ليس حكمًا بالبراءة ، وليس حكمًا بالسجن ، إنما هو أعظم من البراءة ، وأشد قسوة وعذابًا من السجن وأغلظ وآلم من النفي ، إذْ تُجازى كل نفس بما عملت ويعذب العصاة الآثمون .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ (٧٤) وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴾ [طه: ٧٤، ٧٥] .

العدالة في الحكم :

هذه هي المحاكمة الكبرى التي سيقف أمامها الناس جميعًا الحاكم والمحكوم والظالم والمظلوم ، والطالب والمطلوب ، والأمير والحقير ، والغني والفقير ، لا يغني يومئذ جاه ولا مال ، ولا ينفع عز ولا سلطان ، يقتص الله يومئذ من الظالم للمظلوم ، ومن المستعلي للمستضعف ، ومن الشاة القرناء للشاة الجماء .

موقف الإنسان :

فلو كان كل إنسان يفكر في مصيره في ذلك اليوم ، ويخيل أمامه ذلك الموقف الرهيب ، والحساب الدقيق ، لصلحت أحوال الناس ، واستقامت أمورهم ، وحسنت معاملاتهم .

* * *

عاقبة الظلم

كان رجل يغشي أحد الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول : أحسنْ إلى المحسن بإحسانه فإن المسيئ سيكفيكه إساءته . فحسده رجل على ذلك المقام والكلام ، فسعى به إلى الملك فقال : إن هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول يزعم أنك أَبْخَر[1]. فقال له الملك : وكيف يصح ذلك عندي ؟ قال : تدعوه إليك ، فإنه إذا دنا منك وضع يده على أنفه ، لئلا يشم رائحة البخر . فقال له : انصرف حتى انظر وأتحقق ذلك . فخرج من عند الملك فدعا الظالم ذلك الرجل إلى منزله فأطعمه طعامًا فيه ثُوم ، فخرج الرجل من عنده وذهب إلى الملك على عادته وقام بحذاء الملك فقال أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيئ سيكفيكه إساءته . فقال له الملك إدنُ مني . فدنا منه ووضع يده على فيه مخافةَ أن يشم الملك منه رائحة الثوم ، فقال الملك في نفسه : ما أرى فلانًا إلا صدق (يقصد الظالم) قال : وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صلة فكتب له كتابًا بخطه إلى عامله قال فيه : إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه وأحش جدله تبنًا وابعثْ به إليّ . وأخذ الكتاب وخرج ، فلقيه الرجل الظالم الذي سعى به إلى الملك وكذب عليه فقال له : ما هذا الكتاب ؟ قال خط الملك لي به صلة . فقال : هبه لي . فقال : هو لك . فأخذه الساعي ومضى به إلى عامل الملك فقال له العامل : في كتابك أني أذبحك وأسلخك ! فقال : إن الكتاب ليس لي فاللّه اللّه في أمرى حتى تراجع

(١) بخر الفم بخرًا : أنتنت ريحه ، فهو أبخر ، وهي بخراء . الوسيط [الناشر] .

الملك . فقال : ليس لكتاب الملك مراجعة . فذبحه وسلخه وحَشَى جلده تبنًا وأرسله للملك . ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته وقال مثل قوله . فتعجب الملك وقال له : ما فعل الكتاب ؟ فقال : لقيني رجل هو فلان فاستوهبه مني فوهبته له . قال له الملك : إنه ذكر لي أنك تزعم أني أبْخَر ! قال : ما قلت ذلك ! قال : فلم وضعت يدك على فِيك ؟ قال : لأنه أطعمني طعامًا فيه ثوم فكرهت أن تشمه . قال : صدقت ، ارجع إلى مكانك فقد كفى المسيئ إساءته .

فانظر يا أخي كيف دارت على الباغي الدوائر وأسأل ربك أن يعافيك من الظلم الذي ربما يقضي على حياتك ويوصلك في الآخرة إلى نار جهنم والعياذ بالله .

لقد فهمنا من شناعة الظلم وقبح عاقبته وما ورد من الوعيد الشديد على مرتكبه ، وأن من مات قبل رد المظالم أحاط به يوم القيامة خصماؤه ، فهذا يأخذ بيده، وهذا يقبض على ناصيته ، وهذا يمسك يده ، وهذا يتعلق بلبته ، وهذا يتعلق برقبته ، وهذا يقول: ظلمني فغشني ، وهذا يقول: ظلمني فبخسني، وهذا يقول خدعني، وهذا يقول قذفني ، وهذا يقول: أكل مالي، وهذا يقول: شتمني ، وهذا يقول : اغتابني ، وهذا يقول : كذب عليّ ، وهذا يقول : قطع رحمي ، وهذا يقول : جاورني فأساء مجاورتي ، وهذا يقول : رآني مظلومًا فلم ينصرني ، وهذا يقول رآني على منكر فلم ينهني ، وهذا يقول : جحد مالي ، وهذا يقول : مطلني بحقي ، وهذا يقول : جحد وديعتي ، وهذا يقول: باعني وأخفى عني عيب السلعة ، وهذا يقول: سرق مالي ، وهذا يقول: قطع من ملكي، وهذا يقول: شهد عليّ بالزور ، وهذا يقول : سخر بي ، وهذه زوجة تقول : لم يعدل بيني وبين زوجته

الأخرى ، وهذه تقول: أكل صداقي ، وهذا يقول : تعدّى على محارمي ، وهذا يقول : نشز زوجتي ، وهذه تقول : نشز زوجي ، وهذا يقول : غدر بي ، وهذا يقول: خانني ، وهذا يقول : دلَّس عليّ ، وهذا يقول : نجش عليّ في السلعة التي أريد شراءها ، وهذا يقول : كادني ، وهذا يقول : منعني النوم بملاهيه من مذياع وتلفزيونه وسينمائه .

فبينما أنت على تلك الحال المخيفة التي لا تشاهد فيها إلا كثرة المظلومين ، وأنت مبهوت متحير مضطرب الفكر والعقل من كثرتهم ومطالبتهم ، حتى لم يبق أحد ممن جالستهم أو عاملتهم وصاهرتهم أو شاركتهم ولو لمدة قليلة إلا وقد استحق عليك مظلمة ، وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت يدك إلى موالاك ، لعله يخلصك من أيديهم ، ولا تسمع إلا ﴿ **الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ** ﴾ [غافر: ١٧] .

فعند ذلك ينخلع قلبك وتضطرب أعضاؤك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار ، وتذكر ما أنذرك اللّه تعالى به على لسان رسوله الكريم حيث قال تعالى : ﴿ **وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ (٤٤) وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ** ﴾ [الشورى: ٤٤، ٤٥] .

فيا لها من مصيبة ؛ ما أشدها من حسرة في ذلك اليوم إذا جاء الرب جل وعلا للفصل بين عباده بحكمة العدل ، وعلم الظالم أنه فقير عاجز مُهين لا يقدر على أن يرد حقًا ، أو يظهر عذرًا .

فعند ذلك تؤخذ حسناته التي تعب عليها في عمره ليلاً ونهارًا حَضَرًا وسفرًا ، وتنقل إلى الخصماء عوضًا عن حقوقهم فيا لها من حسرة عظيمة .

فلينظر العاقل إلى المصيبة في مثل ذلك اليوم الذي ربما لا يسلم له في شيء من الحسنات ؛ فإن سلم شيء ابتدره الغرماء وأخذوه فكيف تكون حال من رأى صحيفته خالية من حسنات طالما تعب فيها ، فإذا سأل عنها قيل له : نقلت إلى صحيفة خصمائك الذين ظلمتهم ، ويرى صحيفته مشحونة بسيئات القوم الذين طالما تمضمضتَ بهَتْكِ أعراضهم وتناولت أموالهم ، وقذفتهم وشتمتهم ، وقصدتهم بالسوء ، وخنتهم في المبايعة والمجاورة والمعاملة ، ونحو ذلك من أنواع الظلم .

أمـا واللّـه إن الظلـم شـؤم ... وما زال المسيئ هو الظلوم
إلـى الديَّان يـومَ الدين نمضي ... وعنـد اللّه تجتمع الخصـوم
ستعلم في الحساب إذا التقينا ... غدًا عند المَليك مَنِ الظلوم
تنـام ولـم تنـم عـنـك المنايـا ... تنبـه للمنيـة يـا نَـؤُوم
لهـوت عن الفناء وأنـت تفنى ... ومـا حيٌّ علـى الدنيـا يدوم
تـرومُ الخُلْـدَ فـي دار المنايـا ... وكم قـد رام غيرُك مـا تروم
سَلِ الأيـام عـن أمـم تقضـت ... ستخبرك المعالـم والرسـوم

* * *

ظلم قوم نوح

قال اللّه تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٥) أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦) فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ [هود: ٢٥ - ٢٧] .

وقالوا عن نوح : ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [المؤمنون: ٢٥] .

فأهلكهم اللّه بالغرق والطوفان الذي عم الأرض كلها ، ولم ينج منهم إلا من آمن بنوح عليه السلام ، وركب معه في السفينة ، وهم عدد محدود كما قال اللّه تعالى : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠] .

وقال تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٤] .

وهكذا أغرق اللّه الظالمين ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٤) فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ١٤، ١٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلا

تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [هود: ٣٦، ٣٧] .

وهكذا صدر الحكم على أولئك الأشقياء بالهلاك ، نتيجة الكفر والظلم والعدوان .

* * *

ظلم عاد قوم هود

قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [فصلت: ١٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [هود: ٥٠ - ٥٤] .

وقد أهلكهم الله بالريح العقيم التي وصفها لنا القرآن الكريم بقوله : ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ [الذاريات: ٤٢] .

وقد كان قوم عاد ذوي أجسام ضخمة ، وقوة رهيبة ، حتى اغتروا بما هم عليه من القوة والشدة ، فقالوا من أشد منا قوة ؟ ومع ذلك أهلكهم الله ودمرهم عن آخرهم ، كما قال جل شأنه : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [فصلت: ١٦] .

* * *

ظلم ثمود قوم صالح

قال اللّه تعالى : ﴿ **وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾ [الاعراف: ٧٣، ٧٤] .

ومع هذا الإنذار عقروا الناقة وقد أهلكهم اللّه بالصيحة المدمرة ، والرجفة والزلزلة التي قطعت قلوبهم ، وأخمدت أنفاسهم ، حتى كذبوا صالحًا عليه السلام ، وما أصابهم من الذل والهوان عند نزول العذاب كما قال ربنا تقدست أسماؤه : ﴿ **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾ [فصلت: ١٧، ١٨] .

العذاب الهون : الموقع في الهوان والذل .

وقال تعالى : ﴿ **فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٦٧) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ** ﴾ [هود: ٦٦ - ٦٨] .

***

ظلم قوم إبراهيم

لقي إبراهيم عليه السلام الكثير من قومه ، ومن النمروذ خاصة .

قال الله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٥٨] .

وقد أهلكهم الله بأيسر مخلوقاته ، بالبعوض الذي أرسله إليهم فامتص دماءهم ، وأفسد أبدانهم، ونشر فيهم الحمى ﴿ **فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ** ﴾ [العنكبوت: ٤٠] .

* * *

ظلم قوم لوط

وقال اللّه تعالى : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (٨١) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٠ - ٨٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ (٧٨) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود: ٧٧ - ٨٣] .

وهكذا أهلك اللّه قوم لوط بأن انقلبت بهم ديارهم حتى صار عاليها سافلها، وأمطروا بحجارة من سجيل. وسميت مدائنهم بالمؤتفكات لأن اللّه قلبها عليهم ومن لم يمت منهم بالقلب ، أصابته الحجارة التي كانت تنزل عليهم كالمطر : ﴿ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴾ [النجم: ٥٣] .

* * *

ظلم أصحاب مدين قوم شعيب

قال الله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٨٥) وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨٦) وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٧) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٥ - ٨٨] .

فأهلكهم الله بعذاب يوم الظلة ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء: ١٨٩] .

بعث الله عليهم رعدة وحرًا شديدًا ، فأخذ بأنفاسهم ، فخرجوا من البيوت هربًا إلى البرية ، فبعث الله عليهم سحابة فأظلتهم من الشمس ، فوجدوا لها بردًا ولذة ، فنادى بعضهم بعضًا ، حتى إذا اجتمعوا تحتها ، أرسل الله عليهم نارًا ، فذلك عذاب يوم الظلة ، وقد جمع الله لهم بين الرجفة وهي الزلزلة العظيمة كما قال تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٧] وبين عذاب يوم الظلة .

وقال تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (٧٨) فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [الحجر: ٧٨، ٧٩] .

إن حال أهل مدين أنهم كانوا ظالمين ، بتكذيبهم شعيبًا .

* * *

ظلم فرعون لعنه الله

١ ـ ظلم نفسه وادعى الألوهية فقال : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨] .

وقال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٤] .

٢ ـ أخبر أنه سيولد من بني إسرائيل ولد ، ويكون سببًا في هلاكه . فذبح كل مولود ذكر يولد لبني إسرائيل .

٣ ـ ظلمه للسحرة جيث قال لهم : ﴿ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [طه: ٧١] .

٤ ـ ظلمه لموسى عليه السلام : فحال بينه وبين دعوته بكل ما يملك من قوة وجند .

وكانت نهاية هذا الظالم أن أغرقه الله وجنوده في البحر حتى يكون عبرة لمن جاءوا بعده من الفراعنة .

قال الله تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ [يونس: ٩٠، ٩٢] .

بغيًا وعدوًا : ظلمًا وعدوانًا .

* * *

نهاية الظالمين

قال الله تعالى : ﴿أَلَمْ يأْتِكُمْ نَبأُ الَّذينَ من قَبْلكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذينَ منْ بَعْدهمْ لا يَعْلَمُهُمْ إلاَّ اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بالْبَيِّنَات فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ في أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم: ٩] .

قـد ذكر الله تعالى هلاكهم مجملاً في قوله تعالى : ﴿فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِه فَمنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْه حَاصبًا وَمنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا به الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠] .

* * *

ظلم ذي نواس

عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر ، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إليَّ غُلامًا أُعلّمه السحر فبعث إليه غلامًا يعلمه . فكان في طريقه إذا سَلَكَ راهبٌ فقعد إليه وسمع كلامهُ فأعجبَهُ. فكان إذا أتى الساحر مَرَّ بالراهب وقعد إليه . فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا خَشيتَ الساحر فقل : حبسني أهلي . وإذا خشيت أهلك فقل : حبسني الساحر . فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال : اليوم أعلمُ آلسَّاحرُ أفضل أم الراهبُ أفضل ؟ فأخذ حجرًا فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة ، حتى يمضي الناس . فرماها فقتلها ومضى الناس . فأتى الراهب فأخبره . فقال له الراهب : أي بني : أنت اليوم أفضل مني . قد بلغ من أمرك ما أرى. وإنك ستُبتلى . فإن ابتليت فلا تدل عليّ وكان الغلام يُبرِئُ الأكمة والأبرَصَ ويَداوي الناس من سائر الأدواء. فسمع جليس للملك كان قد عمي . فأتاه بهدايا كثيرة فقال : ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني فقال : إني لا أَشْفِي أحدًا إنما يَشْفِي اللّهُ . فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك فآمن بالله فشفاه الله . فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك : مَنْ رد عليك بصرك ؟ قال : ربي . قال : ولك ربٌّ غيري ؟ قال : ربي وربك الله . فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام . فجئ بالغلام . فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تُبرِئُ الأكمة والأبرص وتفعل وتفعل . فقال: إني لا أشفي أحدًا . إنما يشفي الله . فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب . فَجِئَ

بالراهب فقيل له : ارجع عن دينك فَأَبَى . فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه. فشقه حتى وقع شقاه ، ثم جئ بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جئ بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأَبَى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا. فاصعدوا به الجبل . فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه. فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال : اللهم أكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك . فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ قال : كفانيهم اللّه فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به ، فقال : اللهم أكفنيهم بما شئت ، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل أصحابه ؟ قال : كفانيهم اللّه . فقال للملك : إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به . قال : وما هو ؟ قال : تجمع الناس في صعيدٍ واحدٍ وتصلبني على جذع ثم خذ سهمًا من كِنانَتي ثم ضع السهم في كبد القوسِ ثم قلْ : بسم اللّه رب الغلام . ثم ارمني . فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني . فجمع الناس في صعيد واحدٍ وصلبهُ على جذع ثم أخذ سهمًا من كنانتِه ثم وضع السهم في كبدِ القوسِ ثم قال : باسم اللّه رب الغلام . ثم رماه فوقع السهم في صُدْغه ، فوضع يده في صدغِه في موضع السهم فمات . فقال الناس : آمنا برب الغلام . آمنا برب الغلام . آمنا برب الغلام . فأُتِيَ الملكُ فَقيلَ لَهُ : أرأيتَ ما كَنْتَ تحذرُ ؟ قد واللّه نزل بك حذرُك قد آمن الناس .. فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخُدَّتْ وأضرم النيران . وقال : من لم يرجع عن دينِهِ فأحموه فيها أو قيل له : اقتحم . ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام : يا أُمَّه . اصبِرِي فإنَّكِ على الْحَقِّ»

رواه مسلم[1] .

معاني الكلمات :

الملك : هو ذو نواس ـ الغلام : هو عبد الله بن التامر ـ الدابة : قيل الأسد ـ ستبتلى : ستختبر ـ الأكمة : الذي خلق أعمى ـ الأبرص : المريض بالبرص ـ ذروته : أعلاه ـ فرجف بهم الجبل : اضطرب وتحرك ـ القرقور : القارب ـ فانكفأت بهم السفينة : أي انقلبت ، صعيد : أرض بارزة مستوية ظاهرة ، كبد القوس : مقبضها عند الرمي ـ نزل بك حذرك : أي ما كنت تحذر منه وتخاف ـ بالأخدود ـ بالشق العظيم ـ أفواه السكك : أبواب الطريق ـ فأحموه : فاطرحوه ـ فتقاعست : توقفت ولزمت موضعها وكرهت الدخول في النار خوفًا وشفقة على ولدها .

***

(١) مسلم (٣٠٠٥) .

ظلم يزيد بن معاوية

في عهده حدثت فتن كقطع الليل المظلم وفيه روايات لا تكاد تحصر .

وفيه كان قتل الحسين .

وفيه وقعة الحرة .

ورمي الكعبة الشريفة بالمنجنيق .

وفي عهده استباحة حرم المدينة وخراب المسجد النبوي .

وقال أحمد بن حنبل ـ رحمه الله . قال بكفره ولعنه وقال : كيف لا يلعن من لعنه الله في كتابه . قال الله تعالى : ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ**﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣] .

يزيد وبنو الحكم هم ملعنون على لسان النبي ﷺ : عن أبي ذر أنه قال ليزيد ابن أبي سفيان سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**أول من يغير سنتي رجل من بني أمية**» . رواه ابن أبي عاصم[1] .

قيل : هو يزيد .

* * *

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠٢/١٤) ، وابن أبي عاصم في الأوائل (رقم ٦٣) ، وابن عدي في الكامل (١٠٢٤/٣) ، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٩٨/١) ، والبيهقي في الدلائل (٤٦٧/٦) وحسنه الألباني في الصحيحة (١٧٤٩) ، وصحيح الجامع (٢٥٨٢) لكن قال البيهقي : «هذا الإسناد إرسال بين أبي العالية وأبي ذر» وكذا قال ابن كثير في البداية (٢٩٩/٦) .

ظلم الحجاج بن يوسف الثقفي

لما مات يزيد بايع أهل الآفاق ابن الزبير ولم يتخلف عن بيعته إلا بنو أمية ومن يهوى هواهم ، ثم جهز له عبد الملك فحاصره الحجاج الثقفي وقتله عام ٧٣ هـ.

وقتل ١٢٤ ألف نفس صَبْرًا ، غير ما قتله في المحاربات .

وأهان جماعةً من الصحابة وختمهم في رقابهم ، ومنهم أنس بن مالك.

ودس على ابن عمر من ضربه بحربة مسمومة فقتله .

وكان الحجاج حينئذ أميرًا على العراق والحجاز .

عن الزبير بن عدي قال : أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقي من الحجاج فقال : اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمانٌ إلا الذي بعده أشر منه حتى تلقوا ربكم ، سمعته من نبيكم ﷺ . رواه البخاري[١] .

* * *

(١) البخاري (٧٠٦٨) .

الظلــم

الظلــم حرمــه الإلــه بشرعتــه ... ونهى العباد عن ارتكاب جريمته
لم يرضه وصـفًا لـه سبحانـه ... وهـــو القــوي بقهــره وبعزتــه
أسماؤه الحسنى نفت أضداها ... وحوت صفـات جماله وجلالته
فهو الرءوف بخلقه والعدل في ... أحكامه وهـو العزيــز بحكمته
مـا كـان ربـك للعبيـد بظالم ... لكنهـم ظلـموا بهـجر إطاعـته
فجزاؤهــم منه العقـاب وإنـه ... رب غفـــور للمنيب بتوبتـــه
والظلم من شيم النفوس سوى ... عصـم الإلــه بفضلــه وبمنــته
كالأنبيـــا والصالحيــن أولـــى ... النهى والمؤمنين العاملين بشرعته
والظلم منشئوه القساوة والهوى ... واللهـو عـن ذكـر الإلـه وخشيته
ظلم المسيئ يوم القيامة ظلمه ... لا يستطيع خروجه من ظلمته
إذ لا نجاة لظلام حين الجزاء ... مـن قـهر مولانـا وشـدة بطشته
والظلم والظلمات أعداء لمن ... يقضـي بنـور اللّـه بيـن خليقتـه
كالنفـس والشيطـان مـن يتبعهـا ... ضـل الهـوى حقًا وبـاء بخيبته
والظلم يوجب فتنة فتجنبوا ... ظلـم العبـاد تقاديًا مـن ظلمـته
إذا ربـما عمت مصيبة كما ... قـال الإلــه لنـا بمحكـم آيتـه
يـا أيها الناس اتقوا اللّه الذي ... أنتـم إلـيه سترجعـون بقدرتـه
واخشوا عسير حسابه لا تظلموا ... وتمسكوا بالعدل حسـب شريعته
للظالميـن النــار مثواهـم كمـا ... للعادليــن خلودهـم فــي جنتــه

فاللّـه ليـس بغافـل عـن ظلمهـم لكـن يؤخـرهـم لوقـت عقوبتـه
فـي عاجـل أو آجـل كمــراده فهـو القديـر وكلـنا فـي قبضـته
والظلــم مرتعــه وخيم لامـرئ فـي هــذه الدنـيا ويــوم قيامتـه
يـوم عبـوس كريـه عَـمَّ الـورى لـم ينج منه سوى القليل بطاعته
وإذا الظلـــوم رأى شدائــــد كربه عض الأنامل نادمًا مع حسرته
والكــل مشغــول بحـال نفســه فـي دهشته مـن هولـه وفظاعتـه
لا والـــد يجـــزي ولا مولـــوده عـن بعضهـم شيئًا كما في آيته
إلا الـــذين بربهـــم قـــد آمنــوا فأصولهــم وفروعهــم فـي جنتـه
فالأصـل تنفعـه الفـروع الأتقـيا والفـرع يلحـق أصلـه بديانتـه
فأقـرأ كتـاب اللّـه واعلـم مـا به وافطن لقول المصطفى ولحكمته
يملـــي اللّـــه لظالـــم ويمـــده لزيــادة فــي إثمـــه وغوايتـــه
حتـى إذا حـل العـقاب فأخـذه أخـذ أليـم زائـد فـي شدتـه
لا يهمـل المولـى عقوبـة ظالـم لكنـه يمهــل لوقـت عقوبتـه
يـا ظالمًا للنـاس عـمدًا فارتقب نقـم الإلـه لظالـم فـي أمتـه
لا تحسبـن اللّـه عـنك بغافـل مهـلاً سيأتيـك الحسـاب بدقتـه
هـــو عالـــم بالمعتديـــن وإنمـــا أجـل مسمـى عنـده لعقوبـته
يملي لـك المولى إلى يوم الجزا يــوم عبــوس للعصاة بظلمتـه
فارجـع لربـك نـادمًا ومـؤديًا حـق العبـاد كمـا أمـرت بشرعته
عدم الوفاء بحـق ربـك والورى ظلم فأوف الحق قبل إضاعته
وبـذاك تنجـو مـن أليـم عقابـه وتفـوز بالحسنى وخيـر عطيتـه
مـن يتقي غضب الإلـه فقد نجا يـا صاحِ تُبْ ثم استقم في خدمته
فلعلـه يرضـى ويغفـر مـا مضى فهـو الغفـور لصادقٍ فـي توبتـه

وفي الناس من ظلم الورى عادة له ... وينشــر أعــذارًا بهــا يــتأول
جرئ على أكـل الحـرام ويدعي ... بـأن لـه في جـل ذلـك محمـل
فيا آكل المال الحرام أَبِنْ لنا ... بأي كتاب حل ما أنت تأكل
ألم تدري أن اللّه يدري بما جرى ... وبين البرايا في القيامة يفصل
حنانيك لا تظلم فإنك ميت ... وبالبعث عما قد توليت تسأل
وتوقف للمظلوم بأخذ حقه ... فيأخذ يوم العرض ما كنت تعمل
ويأخذ من وزر لمن قد ظلمته ... فيوضع فوق الظهر منك ويجعل
فيأخذ منك اللّه مظلمة الذي ... ظلمت سريعًا عاجلاً لا يؤجل
تفر من الخصم الذي قد ظلمته ... وأنت مخوف موجف القلب موجل
تفر فلا يغني الفرار من القضا ... وأن تتوجل لا يفيد التوجل
فيقتص منك الحق من قد ظلمته ... بلا رأفة كلا ولا منك يخجل

* * *

من أقوال العلماء

١ ـ أن داود عليه السلام ناجى ربه في يوم من الأيام فقال : «**يا رب : أي العباد أحب إليك ؟**» فقال الله تعالى : «**يا داود أحب عبادي إليّ تقي القلب تقي الكفين ، لا يأتي لأحد بسوء ، ولا يمشي بين الناس بالنميمة ، تزول الجبال ولا يزول ، أحبني وأحب من يحبني وحببني إلى عبادي**» ، قال داود : «**وكيف يحببك إلى عبادك ؟**» قال : «**يذكرهم بنعمتي وآلائي ؛ يا داود ما من عبد يعين مظلومًا أو يمشي معه في مظلمته إلا ثبت قدميه على الصراط يوم تزول الأقدام**» .

٢ ـ قال عمر بن الخطاب لكعب الأحبار : أخبرني عن جنة عدن ؟ قال : يا أمير المؤمنين لا يسكنها إلا نبي أو صديق أو شهيد أو إمام عادل ؛ فقال عمر : والله ما أنا بنبي وقد صدقت رسول الله ﷺ ، وأما الإمام العادل فإني أرجو أن لا أجور وأما الشهادة فأنّى لي بها ؟! قال الحسن : فجعله الله صديقًا شهيدًا حكمًا عدلاً .

٣ ـ قال علي بن أبي طالب : يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم .

٤ ـ لما ضرب ابن ملجم ـ لعنه الله ـ عليًا ـ رضي الله عنه ـ دخل منزله فاعترته غشية ثم أفاق فدعا الحسن والحسين ـ رضي الله عنهما ـ وقال : أوصيكما بتقوى الله تعالى ، والرغبة في الآخرة ، والزهد في الدنيا ، ولا تأسفا على شيء فإنكما عنها راحلان ، افعلا الخير، وكونا للظالم خصمًا ، وللمظلوم عونًا .

٥ ـ قال ابن مسعود ـ رضي اللّه عنه ـ : لما كُشف العذاب عن قوم يونس ـ عليه السلام ـ ترادوا المظالم بينهم حتى كان الرجل ليقلع الحجر من أساسه فيرده إلى صاحبه .

٦ ـ قال أبو الدرداء ـ رضي اللّه عنه ـ : إياك ودمعةَ اليتيم ودعوةَ المظلوم ؛ فإنها تسرى بالليل والناس نيام .

٧ ـ قال أبو هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ : إنّ الحُباري لتموت هولاً في وَكْرها من ظلم الظالم . وقيل مكتوب في التوراة : «**ينادى مناد من وراء الجسر ـ يعني الصراط ـ يا معشر الجبابرة الطغاة ، ويا معشر المترفين الأشقياء ، إن اللّه يحلف بعزته أن لا يجاوز هذا الجسر اليوم ظلمُ ظالم**» .

٨ ـ قال أبو أمامة ـ رضي اللّه عنه ـ : يجئ الظالم يوم القيامة حتى إذا كان على جسر جهنم فلقيه المظلوم وعرف من ظلمه فما يبرح الذين ظُلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات ، فإن لم يجدوا لهم حسنات حملوا عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموهم ، حتى يردوا الدَّرْك الأسفل من النار .

٩ ـ قال معاوية: إني لأستحي أن أظلم من لا يجد عليّ ناصرًا إلا اللّه.

١٠ ـ قال مجاهد : يسلط اللّه على أهل النار الجرب فيحكون أجسادهم حتى تبدو العظام ، فيقال لهم : هل يؤذيكم هذا ؟ فيقولون : إي واللّه . فيقال لهم: هذا بما كنتم تؤذون المؤمنين .

١١ ـ قال سحنون بن سعيد : كان يزيد بن حاتم يقول : ما هِبْتُ شيئًا قط هيبتي من رجل ظلمته وأنا لا أعلم أن لا ناصر له إلا اللّه ، فيقول : حسبك اللّه ؛ اللّه بيني وبينك .

١٢ ـ قال أبو ثور بن يزيد : الحجر في البنيان في غير حله عُرْبون على خرابه .

١٣ ـ بكى عليّ بن الفضل يومًا. فقيل له: ما يبكيك. قال : أبكي على من ظلمني إذا وقف غدًا بين يدي اللّه تعالى ولم تكن له حجة . يقول اللّه تعالى: **«اشتد غضبي على [ظالم] من لا يجد له ناصرًا غيري»** .

١٤ ـ كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز ـ رضي اللّه عنه ـ يشكو إليه من خراب مدينته ، ويسأله مالاً يرممها به ، فكتب إليه عمر : قد فهمت كتابك فإذا قرأت كتابي فحصن مدينتك بالعدل ونق طرقها من الظلم فإنه مرمتها ، والسلام .

١٥ ـ حبَس الحَجَّاج رجلاً في حبسه ظلمًا فكتب إليه رقعة فيها : قد مضى من بؤسنا أيام، ومن نعيمك أيام، والموعد القيامة ، والسجن جهنم، والحاكم لا يحتاج إلى بينة .

١٦ ـ نادى رجل سليمان بن عبد الملك وهو على المنبر : يا سليمان اذكر يوم الأذان فنزل سليمان من على المنبر ودعا الرجل فقال له : ما يوم الأذان ؟ فقال: قال اللّه تعالى : ﴿**فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ [الأعراف: ٤٤] قال : فما ظلامتك (في أي شيء ظلمتك) قال : أرض لي بمكان كذا وكذا أخذها وكيلك. فكتب إلى وكيله ادفع إليه أرضه ، وأرضًا مع أرضه .

١٧ ـ وقف يهودي لعبد الملك بن مروان فقال : يا أمير المؤمنين إن بعض خاصتك ظلمني فأنصفني منه ، وأذقني حلاوة العدل ، فأعرض عنه فوقف له ثانيًا فلم يلتفت إليه ، فوقف له ثالثة ، وقال : يا أمير المؤمنين إنا نجد في التوراة المنزّلة على كليم اللّه موسى ـ صلوات اللّه وسلامه عليه : **«إن الإمام لا يكون شريكًا في ظلم أحد حتى يرفع إليه ، فإذا رفع إليه ولم يُزله فقد شاركه في الظلم والجور»** . فلما سمع عبد الملك كلامه فزع وبعث في

الحال إلى من ظلمه فعزله وأخذ اليهودي حقه منه .

١٨ ـ قال وهب بن منبه : إذا همّ الوالي بالجَوْر أو عمل به أدخل اللّه النقص في أهل مملكته في الأسواق والزروع والضروع وكل شيء ، وإذا همّ بالخير والعدل أو عمل به أدخل اللّه البركة في أهل مملكته كذلك .

١٩ ـ مر رجل برجل قد صلبه الحَجَّاج فقال : يا رب إنّ حِلْمك على الظالمين قد ضرَّ بالمظلومين . فنام تلك الليلة فرأى في منامه أن القيامة قد قامت وكأنه قد دخل الجنة فرأى ذلك المصلوب في أعلى عليين وإذا مناد ينادي : حِلْمي على الظالمين أَحَلَّ المظلومين في أعلى عليين .

٢٠ ـ روى أن رجلاً من العقلاء غصبه بعض الولاة ضيعةً له ، فأتى إلى المنصور فقال له : أصلحك اللّه يا أمير المؤمنين أأذكر حاجتي أم أَضرب لك قبلها مَثَلاً ؟ فقال : بل اضرب المثل . فقال : إن الطفل الصغير إذا نابه أمر يكرهه فإنما يفزع إلى أمه إذْ لا يعرف غيرها ، وظنّا منه أن لا ناصر له غيرها ، فإذا ترعرع واشتد كان فراره إلى أبيه ، فإذا بلغ وصار رجلاً وحدث به أمر شكاه إلى الوالي لعلمه أنه أقوى من أبيه ، فإذا زاد عقله شكاه إلى السلطان لعلمه أنه أقوى ممن سواه ، فإن لم ينصفه السلطان شكاه إلى اللّه تعالى لعلمه أنه أقوى من السلطان . وقد نزلتْ بي نازلة وليس أحد فوقك أقوى منك إلا اللّه ، فإن انصفتني وإلا رفعت أمرى إلى اللّه في المَوْسِم ، فإني متوجه إلى بيته وحَرَمه . فقال المنصور : بل ننصفك . وأَمَرَ أن يُكتب إلى واليه بردِّ ضيعته إليه .

٢١ ـ وقيل لما ظلم أحمد بن طُولون قبل أن يعدل : استغاث الناس من ظلمه، وتوجهوا إلى السيدة نَفيسة[1] يشكونه إليها . فقالت لهم : متى

(١) السيدة نفسية هي بنت الحسن بن يزيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهي عالمة بالحديث والتفسير ولـدت بمكة سنة ١٤٥هـ ـ ٧٦٢ م ونشأت بالمدينة وتزوجت إسحاق المؤتمن ابن =

يركب ؟ قالوا : في غـد . فكتبت رقعـة وقفت بهـا في طريقه ، وقالت : يا أحمد يابن طولون . فلما رآها عرفها فترجّل عن فرسه وأخذ منها الرقعة وقرأها فإذا فيها ملكتم فأسرتم، وقدتم فقهرتم ، وخولتم فعسيتم ، وردت إليكم الأرزاق فقطعتم ، هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة لا سيما في قلوبٍ أوجعتموها ، وأكباد جوعتموها ، وأجساد عريتموها ، فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم، اعملوا ما شئتم فإنا صابرون ، وجوروا فإنا إلى الله مستجيرون ، واظلمونا فإنا بالله متظلمون ﴿ **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] قال : فعدل لوقته .

٢٢ ـ سمع مسلم بن بشار رجلاً يدعو على مَنْ ظلمه فقال له : كِلِ الظالمَ إلى ظلمه فهو أسرع فيه من دعائك .

٢٣ ـ قال يوسـف بن أسباط : من دعـا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يُعصى الله في أرضه .

٢٤ ـ قال أبو العيـناء : كان لي خصوم ظلمـة فشكوتهم إلى أحمد بن أبي داود ، وقلت: قد تضافروا يدًا واحدة. فقال: ﴿ **يد الله فوق أيديهم** ﴾ ، فقلت له : إن لهم مكرًا . فقال : ﴿ **ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله** ﴾ . قلت : هم فئة كثيرة . فقال : ﴿ **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله** ﴾ .

٢٥ ـ روى أن كسرى أنوشروان كان له معلم حسن التأديب يعلمه حتى أفاق في العلوم فضربه المعلم يومًا من غير ذنب فأوجعه ، فحقد أنوشروان عليه ، فلما ولي الملك ، قال : للمعلم ما حملك على ضَرْبي يوم كذا وكذا ظلمًا ؟ فقال له : لما رأيتك ترغب في العلم رجوت لك الملك بعد أبيك ، فأحببتُ أن أذيقك طعم الظلم لئلا تظلم .

= جعفر الصادق وانتقلت إلى القاهرة ، وتوفيت فيها سنة ٢٠٨ هـ ـ ٨٢٤ م .

٢٦ ـ سأل الإسكندر حكماء بابل فقال : أيما أبلغ عندكم الشجاعة أو العدل؟ قالوا : إذا استعملنا العدل استغنينا به عن الشجاعة .

٢٧ ـ قال كسرى : لا ملك إلا بالجند ، ولا جند إلا بالمال ، ولا مال إلا بالبلاد ، ولا بلاد إلا بالرعايا ، ولا رعايا إلا بالعدل .

من أقوال الحكماء :

١ ـ عدل السلطان أنفع من خصب الزمان .

٢ ـ إذا رغب السلطان عن العدل رغبت الرعية عن طاعته .

٣ ـ من طال عدوانه زال سلطانه .

٤ ـ من ظلم غيره ظلمه غيره .

٥ ـ اذكر عند الظالم عدل الله فيك (عندما يظلم الإنسان يتذكر انتقام الله فيه واقتصاصه منه) .

٦ ـ تذكر عند القدرة قدرة الله عليك ، لا يعجبك رحب الذارعين سفاك الدماء ، فإن له قاتلاً لا يموت .

٢٨ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : والظلم لا يباح بحال حتى أن الله تعالى قد أوجب على المؤمنين أن يعدلوا على الكفار في قوله: ﴿**كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ**﴾ [المائدة: ٨] والمؤمنين كانوا يعادون الكفار بأمر الله فقال تعالى: لا يحملنكم بغضكم للكفار على أن لا تعدلوا، بل اعدلوا عليهم فإنه أقرب للتقوى، وحينئذ فهؤلاء المشركين ليس لبعضهم أن يفعل ما به يظلم غيره بل إما أن يؤدي قسطه فيكون محسنًا، وليس له أن يمتنع عن أداء قسطه من ذلك المال امتناعًا يؤخذ به قسطه من سائر الشركاء فيتضاعف

الظلم عليهم، فإن المال إذا كان يؤخذ لا محالة وامتنع بجاه أو رشوة أو غيرهما كان قد ظلم من يؤخذ منه القسط الذي يخصه، وليس هذا بمنزلة أن يدفع عن نفسه أداء ما يخصه فلا يؤخذ ذلك منه ولا من غيره وهذه كالوظائف السلطانية التي توضع على القرى ، مثل أن يوضع عليهم عشرة آلاف درهم فيطلب من له جاه بأمرة أو مشيخة أو رشوة أو فعل غير ذلك أن لا يؤخذ منه شيء وهم لا بد لهم من أخذ جميع المال وإذا فعل ذلك أخذ ما يخصه من الشركاء فيمتنع من أخذ ما ينوبه ويؤخذ من سائر الشركاء فإن هذا ظلم لشركائه لأن هذا لم يدفع الظلم عن نفسه إلا بظلم شركائه وهذا لا يجوز . وليس له أن يقول أنا لم أظلمهم بل ظلمهم من أخذ منهم الحصتين لأنه يقال أولاً هذا الطالب قد يكون مأمورًا ممن فوقه أن يأخذ ذلك المال فلا يسقط عن بعضهم نصيبه إلا إذا أخذه من نصيب الآخر فيكون أمره بأن لا يأخذ أمرًا بالظلم .

الثاني : أنه لو فرض أنه الآمر الأعلى فعليه أن يعدل بينهم فيما يطلبه منهم ولا يظلم .

الثالث : أنه إذا طلب من القاهر أن لا يأخذ منه وهو يعلم أنه يتبع قسطه على غيره فقد أمره بما يعلم أنه يظلم فيه غيره .

وليس للإنسان أن يطلب من غيره ما يظلم فيه غيره وإن كان هو لم يأمره بالظلم ، كمن يولي شخصًا ويأمره أن لا يظلم وهو يعلم أنه ظالم فليس له أن يوليه، وكذلك من وكل وكيلاً وأمره أن لا يظلم وهو يعلم أنه ظالم فليس له أن يوليه ، ومن طلب من غيره أن يوفيه دينه من ماله الحلال وهو يعلم أنه لا يوفيه إلا مما ظلمه من الناس وكذلك إذا طلب منه أن يعفيه من الظلم وهو يعلم أنه لا يعفيه إلا بظلم غيره فليس له أن يطلب منه ذلك . اهـ .

٢٩ - قال في تنبيه الغافلين[١] عن أعمال الجاهلين عند عد بعض الكبائر:

الدخول على الظلمة بغير قصد صحيح بل إعانة لهم وتوقيرًا ومحبة: قال اللّه تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [المائدة: ٢] وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ**﴾ [هود: ١١٣].

يقول: من اعتاد الدخول على الملوك الظلمة والقضاة الخونة إنما قصدي بذلك نصر مظلوم أو مساعدة ضعيف أو دفع ظلامة أو التسبب في معروف ونحو ذلك، وهذا لا يخلو إما أن يكون ممن يتناول من مآكلهم ومشاربهم، ويشاركهم في مقاصدهم ومآربهم، ويقبل من أموالهم التي اكتسبوها من الجهات المحرمات ووجوه المظالم والمكوس والمصادرات، ويداهنهم فيما يراه عندهم من المنكرات، فهذا لا يحتاج النظر في سوء حاله إلى دليل إذ يشهد كل ذي بصيرة أنه ضال عن سواء السبيل وأنه من ﴿**الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا**﴾ ويزعمون أنهم ﴿**مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون**﴾.

ثم قال: ليت شعري كيف يمكن من يأكل من أموالهم أن ينكر قبيح أفعالهم وأنى يرجع الظالم منهم إليه وهو يرى مِنَّته في الصحبة واللقمة عليه، وكيف يقبل منه الكلام وباطنه قد امتلأ من ماله الحرام[٢].

---

(١) صفحة ٢٤٣.

(٢) ثم ذكر ثلاث أحاديث منها حديث: عن كعب بن عجرة قال: قال ﷺ: «**أعيذك بالله يا كعب من أمراء يكونون من بعدي، فمن غشى أبوابهم فصدقهم في كذبهم، وأعانهم** =

٣٠ ـ قال الأوزاعي للمنصور : يا أمير المؤمنين إن المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ـ صلوات اللّه وسلامه عليه ـ دعا إلى القِصاص من نفسه بخدشة خدشها أعرابيًا من غير تعمد . يا أمير المؤمنين لو أن ذَنوبًا من النار صُبَّ ووضع على الأرض لأحرقها فكيف بمن يتجرعه ؟ ولو أن ثوبًا من النار وضع على الأرض لأحرقها فكيف بمن يتقمصه ؟ ولو أن حَلْقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لذاب ، فكيف بمن تسلسل بها ؟ .

٣١ ـ قال حسن أيوب(*) : ظلم الإنسان للإنسان معناه : اعتداء الظالم على المظلوم في نفسه أو ماله أو عرضه ، فمن قتل إنسانًا أو ضربه أو شتمه أو سبه أو لعنه أو آذاه أي إيذاء في نفسه فهو ظالم لذلك الإنسان ، وكذلك إنْ سلط عليه مَنْ فعل به ذلك أو أعان على شيء منه . .

ومن أخذ مالاً لإنسان أو تسبب في أخذ مال له بغير حق صغيرًا كان هذا المال أو كبيرًا فإنه يعتبر ظالمًا لهذا الإنسان . .

ومن عاب إنسانًا يتنقصه بذلك ، أو اتهمه بالفحش أو الفسوق ، أو رماه بالزنى أو شنع عليه عند من يعرفه بأمر هو برئ منه ، أو ليس بريئًا ولكنه مستور لم يجاهر بما يفعل من الذنوب فإنه بذلك يعتبر ظالمًا له ، ومثله ما إذا لم يفعل ذلك بنفسه ولكنه سَلَّط أتباعه ليفعلوا ذلك .

ومن غازل فتاة جاره أو صديقه أو أخيه المسلم بغير علم أهلها ، أو وقع في فاحشة مع فتاة من هؤلاء كذلك فهو ظالم لهؤلاء وخائن لهم . ومن منع وصول حق لأى إنسان فهو ظالم له سواء دفع في ذلك مالاً (رشوة) أم

= **على ظلمهم ، فليس مني ولست منه ، ولن يرد عليّ الحوض»** . رواه الترمذي (٦١٤) (صحيح الترمذي ٥٠١) .

(*) السلوك الاجتماعي ١٠٣ .

لم يدفع ، وسواء كان المنع مباشرًا أم غير مباشر .

ومن استغل منصبه في إذلال إنسان أو إيذائه أو منع حقه فهو ظالم ـ ومن تلاعب بمشاعر إنسان مستغلاً حاجة هذا الإنسان إلى العمل أو إلى القوت لنفسه أو لعياله فهو ظالم . ومن استفاد قوة عامل في عمل من أعماله ثم لم يعطه من الأجر ما يستحقه عُرْفًا مستغلاً ضعف العامل أو حاجته أو كثرة أمثاله فهو ظالم .

ومن فضل عاملاً على آخر في الأجر وهما في العمل متساويان فهو ظالم ، إلا إذا رضي مَنْ أجره أقل رضًا عن طيبة نفس ، وليس تحت إلحاح الحاجة والضغط والتضييق .

وجزاء الظالمين في الدنيا والآخرة مقطوع به ، ووقوع البلاء بالظالمين أمر محسوس ومشاهد وتاريخ الظالمين على هذه الأرض ترويه الخرائب المظلمة ، والقصور الخاوية ، والذرية التعسة ، والمصير البائس المشئوم. قال اللّه تعالى : ﴿**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ [النمل: ٥٢] .

ولو أنصف المشتغلون بالقضايا الإسلامية لجعلوا اهتمامهم بانصاف المظلومين مقدمًا على جميع القضايا الاجتماعية حتى يشعر الناس بقلوبهم الرحيمة وحرصهم الصادق على نفع الآخرين ، وحتى يكون موقفهم كسند للمظلومين من عامة الناس وخاصتهم دليلاً على صدقهم في إيمانهم بالإسلام ، وتضحيتهم من أجل الآخرين أيًا كان . اهـ .

* * *

عبر وعظات

عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ : أن النبي ﷺ قال لكعب ابن عُجْرة: **«أعاذك الله من إمارة السفهاء»** قال : وما هي إمارة السفهاء ؟ قال: **«أمراء يكونون بعدي ، لا يهتدون ولا يستنون بسنتي ، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ، ولا يردون عليَّ حوضي ، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني ، وأنا منهم ، وسيردون عليَّ حوضي . يا كعب بن عجرة : الصيام جُنَّة ، والصدقة تطفئ الخطيئة ، والصلاة قربان»**[1] .

حكى أن هشام بن عبد الملك قدم حاجًا على بيت الله الحرام ، فلما دخل الحرم قال : ائتوني برجل من الصحابة فقيل : يا أمير المؤمنين ، ماتوا . قال فمن التابعين . فأُتي بطاووس اليماني ، فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بيا أمير المؤمنين ، ولم يُكْنِه ، وجلس إلى جانبه بغير إذنه ، وقال : كيف أنت يا هشام ؟ فغضب من ذلك غضبًا شديدًا حتى هم بقتله ، فقيل له : أنت يا أمير المؤمنين في حرم الله وحرم رسول الله ﷺ . . لا يكون ذلك . فقال : يا طاووس ما حملك على ما صنعتَ ؟ قال : وما صنعتُ ؟ قال : خلعت نعليك بحاشية بساطي ، ولم تسلم بيا أمير المؤمنين ولم تكنني ، وجلست بإزائي بغير إذن ، وقلت : يا هشام كيف أنت .

---

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٢١ ، ٣٩٩) ، والبزار (١٦٠٩ - كشف) ، وعبد الرزاق (٢٠٧١٩) والحاكم (٤/٤٢٢) وصححه ، وصححه المنذري في الترغيب ، والهيثمي في المجمع .

فقال طاووس : أما خلع نعلي بحاشية بساطك ، فإني أخلعها بين يدي رب العزة في كل يوم خمس مرات ولا يعاقبني ولا يغضب عليّ ، وأما قولك : لم تسلم عليّ بإمرة المؤمنين ، فليس كل المؤمنين راضيًا بإمرتك فخفت أن أكون كاذبًا ، وأما قولك: لم تكنني ، فإن اللّه عز وجل سمى أنبياءه. فقال: يا داود ، يا يحيى ، يا عيسى ، وكنى أعداءه فقال : ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ** ﴾ . وأما قولك : جلست بإزائي ، فإني سمعت علي بن أبي طالب يقول : إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام . فقال له عظني . فقال : سمعت علي بن أبي طالب ـ رضي اللّه عنه ـ يقول : إن في جهنم حيات وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لم يعدل في رعيته .

* * *

خاتمـــــــة

جاءت الآيات الكريمة ، لتصور لنا حالة هؤلاء المجرمين الظالمين ، المنكرين للبعث والجزاء ، المشركين بالله ، المفسدين في الأرض ، وتصور لنا حسرتهم وندامتهم على ما فرطوا في هذه الحياة الدنيا ، وضيعوا من صالح الأعمال ، وتذكر أنهم يتمنون لو يفتدوا من عذاب الله بملء الأرض ذهبًا ، ولكن هيهات أن يقبل منهم فداء ، أو تنفعهم شفاعة ، لأن القيمة هناك بالأعمال لا بالمال ، والتعامل في الآخرة ليس بالدرهم والدينار ولكن بالتقوى والإيمان ، ومخافة الرحمن وفي ذلك يقول ربنا تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ جميعًا لافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ** ﴾ [يونس: ٥٤] .

فيا عباد الله كفوا عن الظلم بكل صوره حتى ينجيكم الله تعالى من عذاب يوم القيامة . يوم ﴿ **يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ** ﴾ [المعارج: ١١ - ١٤] .

أمـــة الحـــق

إيمان بنت عبد الفتاح بن محمد

* * *

المراجـــع

١ ـ جامع البيان ـ ابن جرير الطبري .
٢ ـ تفسير البغوي ـ البغوي .
٣ ـ التفسير الوجيز ـ ابن عطية .
٤ ـ زاد المسير ـ ابن الجوزي .
٥ ـ أحكام القرآن ـ القرطبي .
٦ ـ تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير .
٧ ـ إرشاد العقل السليم ـ أبو السعود .
٨ ـ فتح القدير ـ الشوكاني .
٩ ـ فتح البيان ـ صديق حسن خان .
١٠ ـ تفسير المراغي ـ المراغي .
١١ ـ أضواء البيان ـ الشنقيطي .
١٢ ـ الظلال ـ سيد قطب .
١٣ ـ تفسير كشك ـ عبد الحميد كشك .
١٤ ـ تفسير مخلوف ـ مخلوف .

كتب الحديث :

١ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ ابن حجر العسقلاني .
٢ ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري ـ العيني .

٣ ـ صحيح مسلم ـ شرح النووي .
٤ ـ عون المعبود شرح سنن أبي داود ـ شمس الحق العظيم آبادي .
٥ ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ـ محمد عبد الرحمن المباركفوري .
٦ ـ سنن النسائي ـ أبو عبد الرحمن النسائي .
٧ ـ سنن ابن ماجه ـ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني .
٨ ـ الفتح الرباني ـ أحمد عبد الرحمن البنا .
٩ ـ شرح السنة للبغوي ـ تحقيق شعيب الأرناؤوط .
١٠ ـ مصابيح السنة ـ للبغوي .
١١ ـ المستدرك ـ الحاكم .
١٢ ـ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ـ تحقيق الأرناؤوط .
١٣ ـ سنن الدارمي ـ تحقيق عبد الله هاشم يماني .
١٤ ـ سنن الدارقطني ـ تحقيق عبد الله هاشم يماني .
١٥ ـ كنز العمال ـ المتقي الهندي .
١٦ ـ صحيح الجامع ـ محمد ناصر الدين الألباني .
١٧ ـ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ـ محمد ناصر الدين الألباني .
١٨ ـ السلسلة الصحيحة ـ محمد ناصر الدين الألباني .
١٩ ـ مشكاة المصابيح ـ التبريزي تحقيق محمد ناصر الدين الألباني .
٢٠ ـ جامع الأصول من أحاديث الرسول ـ ابن الأثير .
٢١ ـ فيض القدير ـ المناوي .
٢٢ ـ مرقاة المصابيح ـ ملا على القاري .

كتب عامة :

١ - موارد الظمآن في الخطب - عبد العزيز المحمد السلمان .
٢ - إحياء علوم الدين - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي .
٣ - تنبيه الغافلين - محيي الدين أبو زكريا الدمشقي .
٤ - تزكية النفوس - أحمد فريد .
٥ - سراج الملوك - أبو بكر الطرطوشي .
٦ - حقوق إسلامية - طه عبد اللّه العفيفي .
٧ - من وصايا الرسول - طه عبد اللّه العفيفي .
٨ - السلوك الاجتماعي - حسن أيوب .
٩ - الفاروق عمر - محمد حسين هيكل .
١٠ - مدارج السالكين - ابن القيم .
١١ - الذنوب وقبح آثارها على الأفراد والشعوب - محمد بن أحمد سيد أحمد .
١٢ - الزواجر على اقتراف الكبائر - الهيتمي .
١٣ - الخطاب المنبرية - عبد الحميد كشك .
١٤ - مصارع الظالمين - عبد الحميد كشك .
١٥ - صوت المنبر - النجار .
١٦ - الموازنة - الحميدي .
١٧ - المستطرف - شهاب الدين .
١٨ - عقيدة المؤمن - أبو بكر الجزائري .
١٩ - البيان الفاصل بين الحق والباطل - علي فكري .

٢٠ ـ علامات الساعة ـ أبو المنذر عبد الحق بن عبد المطلب بن عبد اللطيف .

٢١ ـ مسند أبي يعلى ـ أبو يعلى .

كتب السيرة والتاريخ :

١ ـ البداية والنهاية ـ ابن كثير .

٢ ـ سير أعلام النبلاء ـ الذهبي .

٣ ـ الإعلام ـ الزركلي .

٤ ـ تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري .

٥ ـ العبر في تاريخ من غبر ـ الذهبي .

* * *

الفهـــــرس

الموضـــــــــــوع	الصفحة

* * *

صدر حديثاً :

أبو عبد الله فهد بن عبد الله السنيد

الإعلام

في إيضاح ما خفي على الإمام

تعقبات حديثية

على

الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

مع نقولات في الرجال لسماحة المفتي العام

الشيخ عبد العزيز بن باز

مكتبة السنة

صدر حديثاً :

كيف تحفظ القرءان الكريم

تأليف

الدكتور عبد الرب نواب الدين
أستاذ مساعد بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة

مكتبة السنة

صدر حديثاً

حُكْمُ القراءةِ علَى الأمواتِ

هَلْ يَصلُ ثوابها إليْهم ؟

والأدلة على ذلك من القرآن والسنة والتفاسير والمذاهب
مع بيان طائفة من بدع الجنائز ومنكرات المآتم

تأليف
الشيخ محمد أحمد عبد السلام الشقيري
من علماء مصر

حقق أحاديثها وقدّم لها وعلّق عليها
محمود مهدي الاستانبولي

وعليها تنبيهات وتتمة لسماحة الشيخ
عبد الله بن محمد بن حميد
رئيس مجلس القضاء الأعلى

مكتبة السنة

صدر حديثاً

مصطفى أبو الغيط عبد الحي

خطبة النساء
والترغيب في الزواج

قدم له وراجعه
الشيخ مصطفى العدوي

مكتبة السنة

صدر حديثاً :

الإنصاف

في بيان أسباب الاختلاف

تأليف

الإمام ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي

١١٧٦ هـ

تحقيق

محمد عبد الله الطالبي

مكتبة السنة